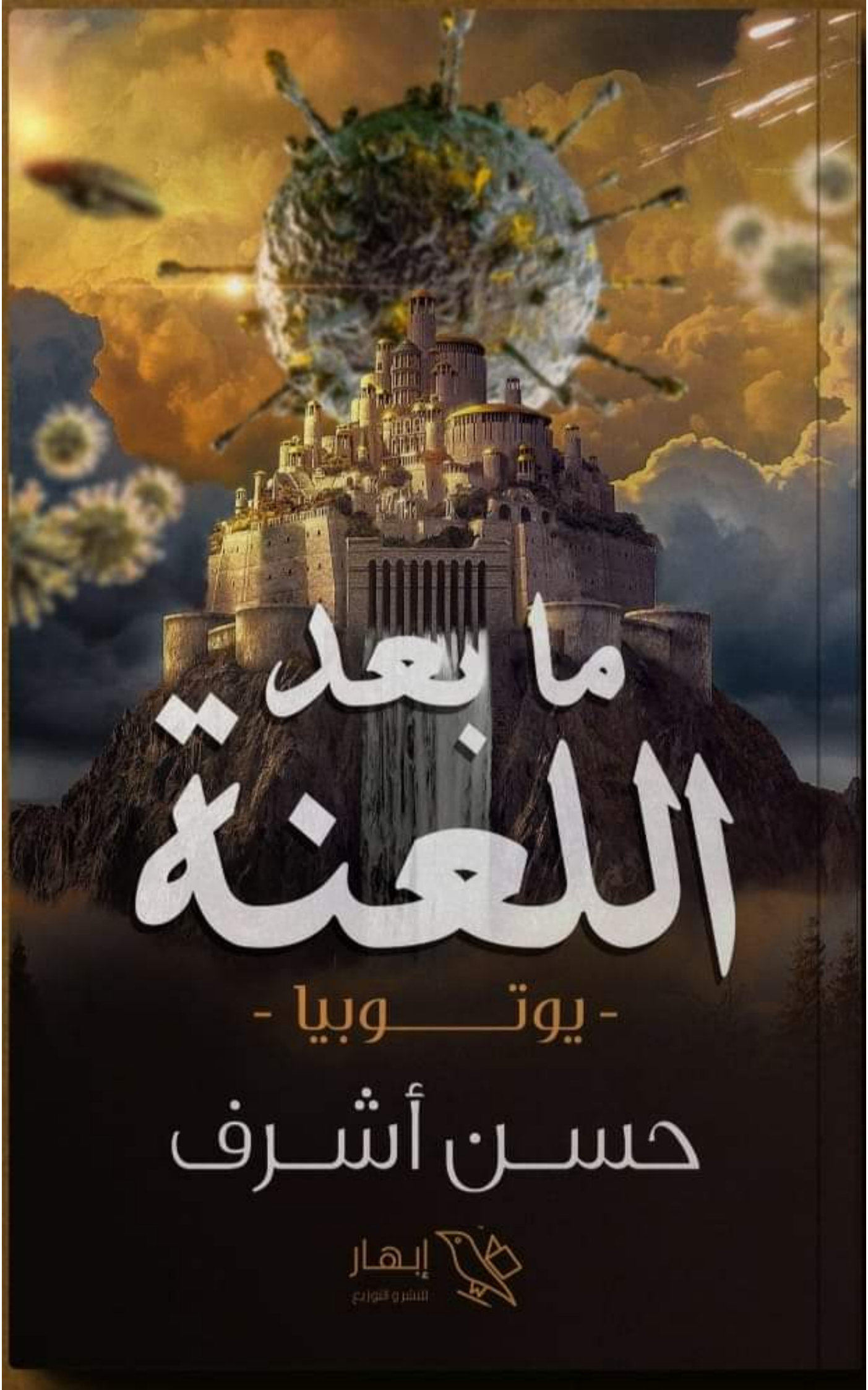
ما بعد
اللعنة
- يوتوبيا -
حسن أشرف
إبهار
للنشر والتوزيع

ما بعد اللعنة

اسم الرواية: ما بعد اللعنة .

اسم المؤلف: حسن أشرف.

تدقيق لغوي: هاجر علي.

تصميم الغلاف: محمد دربالة.

إخراج داخلي: ساندي شريف إبراهيم.

رقم الإيداع : ٢٠٢١/٢٤٥٧

الترقيم الدولي : ٩٧٨٩٧٧٨٤٤١٩٣٢

جميع الحقوق محفوظة للناشر

أى اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمسائلة القانونية والآراء والمادة الواردة.

وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير.

Email: ebharpuplishing@gmail.com

تليفون: ٠١٠٦٠٢٦٧٤٠١

حسن أشرف

ما بعد اللعنة

إبهار
للنشر و التوزيع

الإهداء

إلى أبي وأمي دومًا.

إهداء إلى هؤلاء الأشخاص الذين يتمنون لي الفشل، أحببتُ أن أهدي لكُم تلك الرواية الثانية لي بعد مجموعتي القصصية الأولى "صمتًا رجاءً."

أهدي لكُم تلك اللعنة التي أصابتكُم حين رأيتمُوها بين يداي طامعون في تمزيقها.

لن يصيبني إحباطكم بعد الآن، والفشل لم يعرف لي طريق بعد إحباطكُم الأول لي، بَل كان دفعة حقيقية لطريقٍ صائبٍ قد اتخذته وكنتم السبب في ذلك وأحب أن أشكركم.

هنيئًا لكُم.

تمهيد

مرحبًا بك عزيزي القارئ؛ أنت هنا في ذلك المكان الذي أصبح متسع ومأوى لذلك المدعوإبليس، احترس جيدًا وعليك أن تفكر وتصمُد إلى النهاية، لتتمكن من معرفة المغزى الحقيقي، لا تضع نفسك في اللاوجود، حتمًا ستلقى حتفك، ولن ينقذك أحد، هذه الرواية ليست مرعبة بقدر أنها واقع مُعاش، ربما تظهر لك رواية خيالية بعض الشيء، ولكنها حقيقية.. لا تخف مما سوف تتلقاه في قراءتك؛ النهاية أساس كل بداية، ستجد بعضًا من العبث داخل النفس البشرية، لكن هذا ما نعاني منه جميعًا.. متمنيًا أن تنال إعجابكم.

الفصل الأول

" انتفاضة آدم وحواء "

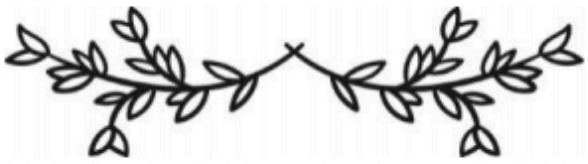

في ذات يوم عصيب بعض الشيء، كنت جائعا لدرجة لا تطاق، أخطأت في فهم القدير حينها، وأعلنت التمرد عليه حين أصابني الشغف في معرفة الخير والشر من خلال شجرة تنبت ثمرة التفاح الشيطانية، لقد أوصاني الرب بعدم التقرب منها، كامتحان مدى طاعتي له يا حواء، لقد غويتك كما أغواني ذاك الثعبان الذي يمكث أعلى الشجرة، شعرت بالجوع وقال لي فلتأكل سوف تعلم جيدًا الفرق بيني وبين خالقك سبحانه وتعالى.

حواء، هوبادر وحظيت بالإبادة أنا وأنتِ، بالمناسبة.. القدير لم يعطني سوى الخير فقط، وحينها فاض في أعماقي الشك، ووسوس لي الثعبان بمعرفة الفرق بنقيض الخير.

لكن يا آدم أنت سبب في نزولي إلى تلك الارض ولقد رأيت كل جزء مني وأنا كذلك، حين أصبحنا عرايا وقد عثرنا على بعض أوراق من الشجر لنخبئ أنفسنا..

أنصتي لي قليلًا يا حواء لم أدرك حينها حجم الكارثة التي نشهدها الآن، وأريد أن يغفر لنا القدير، ولا أحمل في قلبي ذرة شك بعد ما رأيت الجحيم على الأرض.. لحظة يا حواء فالثعبان يتحدث معي.

كُلي آذان صاغية، لقد تركتها تذهب.. فلتتحدث الآن:

أولًا.. لماذا تبكي؟

أبكي على حالي الذي أنت المتسبب به، حين لحقت بك وفعلت ما طلبته مني وجدت نفسي أعانق الأراضي..

حسنًا.. ما الذي جعلك تنفذ ما طلبت منك؟

كنت أريد معرفة نقيض الخير، وها أنا خارج من ملكوت الرب بعدم وجود الإنصاف والمصالحة في عدم اكتمال المعرفة الحقيقة.. أتدري بما أني خارج الملكوت لا أخشى شيئا إطلاقًا.. فاللعين داخلي الآن وهوأنت..

– ألا تخشى من الرب؟

دعك من الأمر هذا وحدثني قليلًا عن نفسك..

حسنًا.. اسمي الحقيقى إبليس، أسعى للمثالية المفرطة في ذاتها وأعلم جيدًا بأن الإفراط في الشيء يصبح أمرا مقرفا للغاية.. تعلمت الكثير من الأمور لقد استخدمت العقل في تطوير التفكير حين كنت طاووسا في يوم ما.. أتمكن من التشكل في أي شيء ما عدا هيئة الطاووس عندما تم طردي، لأن الرب نبع داخله فيضان الشك بأن أريد مشاركته في الألوهية.. وأنا لا يروق لي إطلاقا.. ثم بعث داخلي الكره من ناحية ومحى داخلي الحب الذي كنت أحمله له، بعث الخير والشر معًا.. لذلك أنا أمتلك الاثنين وأجيد استخدامهما جيدًا.. لكن أريد الخير للجميع أريد الخلاص الأبدي للبشر لأنني لاحقًا سأتشكل في هيئة بشر مثلكم حين أتمكن من تحقيق مرادي وهو إغواء الجميع بنية الخير سيقومون بفعله بكل حب بكل صفاء نية.. لأنني لن أضع قوانين الثواب والعقاب.. أراها فكرة خادعة من أجل إثارة بعث الخوف لكي تكونوا خاضعين له، وأنا أتيت لكم من أجل إثبات عكس تلك القوانين، سأقوم بانتشال أرواحكم إلى النعيم الحقيقي الأبدي للأجيال القادمة والحالية.. جاعلا لكم الحرية تفعلون ما تشاؤون لكن بحدود المعقول لا أريد الفوضى بل الراحة لي ولكم دون أن يقدم أحدكم

مبرر لفعل اقترفه دون قصد وأنت تدري أنك لم تكن تنوي فعله وسيعلم الكل حسن نيتك دون إثارة ذرة شك واحدة، الموسيقى هي شيء أساسي في إعطاء الأولوية للتناغم من أجل هدنة العقل، فلتجمع قواك العقلية وأن تتماسك في القادم.. فلتأخذ قيلولة الآن سأعود لاحقًا.

حواء.. لقد تحدثت مع الثعبان إنه يريد المصلحة لنا ويسعى جاهدًا في إسعادنا.

آدم.. أفهم من ذلك أن الثعبان يريد لنا تحقيق ما نتمناه لي ولك ولأبنائنا الذين سوف يحظون بالخلود والنعيم الأبدي.

نعم حواء.. وطلب مني أن آخذ قيلولة لأنه سوف يأتي مرة ثانية.

حسنًا آدم.. لترتاح قليلًا.

– آدم.. لقد أتيت.. هل أخبرت حواء بشيء؟

نعم إبليس لقد أخبرتها القليل فقط وتعتريها السعادة والشغف معًا في معرفة مرادك.

سأبوح لك بكل شيء، فلتنصت لي.. حين أدركت أنك خلقت من طين وأنا من نار.. أصابتني الغيرة هي شعور سلبي أعلم ذلك جيدًا وتخلصت منه، مع مرور الوقت.. واستطعت بأن أتصالح معك وأترك المشاعر السلبية تجاهك ونكون يدًا واحدة نفعل كل شيء دون رقيب.. دون الشعور بتأنيب الضمير والذنب، سأجعل منك أقوى رجل مثل قوة الذئب.. عليك اتباعي فحسب لن تخسر شيئا.

أنا معك إبليس مثلك تمامًا أسعى لتقديم شيء للبشر القادمين من خلالنا سنعم في الأرض الجنة الحقيقة التي لا تحمل شيئا من الطمع والجشع والخزي والقتل العمد في سبيل الله.. سنتحد سويًا.

أنصت لي وكف عن الثرثرة.. حين خلق الله الملائكة قبلك ولاحظوا أنه يخلق بشري من طين قالُ أتخلق فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال أني أعلم ما لا تعلمون.. وهولا يعلم ما ننوي فعله أنا وأنت من إصلاح النفوس القادمة والتخلي عن نزوة عابرة في خوض تجربة جديدة من أجل إرضاء السادية التي سوف يحملوها بعض البشر القادمون.. نقوم بتغيير مفاهيم خاطئة تضر ونستبدلها بمفاهيم جيدة نتبعها حينها سنحظى بكل تأكيد بالخلود الأبدي الذى سنخلقه لنا.

استيقظ يا بنى من هذا الكابوس الذي يجعلك تتألم أثناء نومك.. مروان

نعم أمي يا ذات البشرة البيضاء الناصعة وخصلات شعرك الرمادية والسوداء معًا وجلبابك المزخرف بالورود والزهور.. هل قمتِ بطهي الفطور؟

نعم بني هيا لكي نأكل سويًا.. ونتحدث قليلًا عن كابوسك.. ماذا كنت تحلم جعلك تنتفض؟

رأيت إبليس

كيف هذا بنى؟

تحدث عن صراع ما، حين تم خلق أول إنسان على الأرض كأن هناك شيئا غامضًا لسبب أننا متواجدين الآن.. تبين لي من خلال ذلك الحلم الغامض الذي لا أعلم.. لماذا راودني؟

هناك رسالة تركها لي ذلك اللعين بأن هناك طريقة لعب إغواء البشر ومقصده ليس إنساني كما تحدث معى استنتجت من ذلك بأن " الشر يحكم، الشر أسهل اعتناقًا، الشر ملاذًا، الشر هو من يبتسم دائمًا. " كأنني أنا صنم ابراهيم الذي لم يحطمهُ، لكي يدرك الجميع بأنه لا يفيد، وهم دائمًا في الأصل مدمنين اللاشيء.. اللعبة أصبحت جدية للغاية يا أمى..

لقد نعتوني بالملحد، ويعتريني إيمان داخل قلبي مختلف عن الآخرين، إيمان لا يعلن صليل الصوارم عن حرب، إيمان لا يسفك دماءً ظلمًا، إيماني هو إنساني بحت، وهم يظهرون إيمانهم بدماء المظلومين، دعوة لحضور حفل جنازتي، لا شيء بحيازتي سوى إيمان دائم يعتريه حُبًا وكرامة للمختلف.

مروان.. هل أنت ذاهب يا بنى؟

نعم أخذت أستعد لهذا الموعد باعتناء.. تالا يا أمى اشتقت إليها كثيرًا أريد أن أجلس معها قليلًا تلك الفتاة الشقراء التى تحمل حقيبة مثل لون شعرها أعلم جيدًا أنها مازالت تحتفظ بالهدية التي قدمتها لها وفرحت بها كثيرًا وحذاؤها الذي يلمع دائمًا لا أدرى إذا كانت تحتفظ بلمعانة أم لا.. يكفي أنني سوف أراها بعد مدة تعدت الثلاثة أشهر، أتدري يا أمي هي تعمل في جريدة ما.. وهي متمكنة في كتابة المقالات.

حسنًا بنى.. إلي أين ستذهبان؟

إلى ذلك المكان البعيد عن صخب ترهات البشر إلى ذلك المكان المجهول، حيث لا وجود لهم.. ربما غابة أوما شابه ذلك.. لا بأس إن كان صحراء.. لنهرب فحسب.. الجميع يعرفون الغابة والصحراء جيدًا لكن لا يعرفون ما المختبىء فيهما.. الحياة السرمدية التي نسعى إليها جميعا حيث هي بعيدة كامل البعد عن النفس التي تحمل فيض من النفاق والمجاملة والجشع.. حيث السكون اللامتناهي.. من المحتمل أن نزور إحدى الدول للتنزه فلا تقلقي إن تأخرت في المجيء نريد أن نكون هائمين في اللامكان ونخلق مكانًا مناسبًا للعيش بعيدًا عن أعين الموتى الأحياء.. إلى اللقاء أمى.

يا بني.. أريد أن أطمئن عليك بمحادثة هاتفية لا أكثر ولا تكف عن سؤالك عنى..

لا تقلقي أمى.. أنا الآن في خطوة للأمام بدون تردد ولا أستطيع أن أمنع مراحل التودد.. تعلمين أنني أعاني من فقدان الشعور من ذلك العالم الرؤية به مخلوطة وغير مفهومة، ولا أستطيع أن أفقد شعوري بكِ.. أيضًا تعلمين أنني بين الحُطام تُكمِن أجزائي.. حيث أنني لا أستطع إخماد الحريق الذي شب بداخلى، ياللهول.. قد قررت بأن أكتشف المستقبل.. بماذا سوف يوحي إلي؟

حدقي في جبهتي جيدًا، أصبح الإصفرار هو لونها.. طرح علي أحدهم سؤالًا.. هل تريد أن تصبح عبدًا للشيطان أم الإله؟ هل تريد الخلاص بالحب؟

قلت أنني لا أريد شيئًا إطلاقًا.. أريد فقط أن يغتال هواء الحرية أشلائي.. عانقيني يا أمي أحتاج إلى عناق، تبًا لحُب لم يُدمِني شبقًا فأصدرت عقاب بإقامة الحد عليه، تغيرت فكرتي لوهلةٍ حين رأيت تالا أدركت حينها أنها الخلاص الأبدي.

عليك الحذر يا بني.. أن تقع في شر نفسك فالنفس أمارة بالسوء.

يكفي يا أمي.. الفرق هو خمس دقائق فقط.

ما الذي تنوي فعله؟

أعطيني فرصة أوضح لكِ..

كالأبله أمشي

كمُشرد على الأرصفة أمضي

الأسود هوالدنيا والأبيض هوالموت وليس العكس

مُهترئةٌ تمامًا كقلب غير لكنتِ

اللون الأبيض لا يزال يصرخ في أذني بالهمس

الفاء.. فضولك اللعين

الهاء.. همس اللون الأبيض الرحيم

أيها اللون الأسود اصمُت أنت مُجرد صوت داخل رأسي

لا أُريد مزجك باللون الأبيض، أعلم أنه خارج المنطق ولكن سأفعلها

خمس دقائق فقط أيتُها الألوان وحتمًا سوف أقوم بفصلك

كما فعلت نفس الخمس دقائق منذ نشأتي ولا أعرف سوى لون الدنيا

بحق السماء العُليا..

تزداد الفكرة لذة حين أسقُط.. الأمر مستعصي ولكن سأفعل.. وأخلق لونًا آخر غير المألوف..

تبًا لى لم أستطع السرد والحكى ومزج الحروف.

يا بنى أنصت لي.. خطر عليك إذ تعمق عقلك أكثر، لا تكُن مُضيئًا مِثل تِلّكَ الشمعة التي تحترق مِن أجل شيء ما نجهلهُ.. تأكُل نفسها أفضل مِن بوح ما بداخِلها، هى صديق سوء لنفسها.. أرى فيك السوء لنفسك..

معذرة أمي.. تِلّكَ الاسطوانة تعتريها الشروخ..

عفوًا لا أُجيد الرقص.. أريد السماء، أن تصب لعنتها على ذاك الوباء، فنفسي يا أمي لم تطمئن بعد.. ولا أدري.. أين هوالخلاص؟

هل من مُستجيب؟

الحياة اقترفت بى خطأ يعتري داخلي اكتئاب.. وعجز الأطباء النفسيون عن تشخيصي.. فالطبيب قال لى: أنت مريض بمرض الشرفاء.. وقال أيضًا: الذي بك هو مِن فعل مُحيطك.

لماذا لم تبح لي يا بني أنك ذهبت لطبيب نفسي؟

لم تتح لي الفرصة.. أُريد استفسارًا آخر.. معظم البشر جراحَهُم اِلتئمت وجرحي لم يلتئم بعد.. هل لأنهُم يعتنقون الشر فكرًا، وهُم أيضًا ينتمون لذلك الدين؟

لقد أذوني بشكلٍ ما.. هل رب السماء في وصالي غير قادر؟

الله في الضمير..

وليس على أبواب المساجد..

عناق يعترى الروح بالاكتفاء بذاتها..

وتسعى الخوض في معارك لا تنتصر..

مع وجود الحب حتمًا الروح لا تنكسر..

سوف يشهد الرب على ذلك النجاح..

أفضل من سعى يعتريه فقط النباح..

بداخل مُحيطك كُل شيء تمادى.. لستُ مؤمنًا بالتخاريف.

ماذا تُريد بني؟

أُريد أن أتحلى بالزُهد وتوقف بُكاء عيونى.. سوف أذهب إلى جميع المعابد وأطوف على ذنبى، الذى لا أعلم عنه شيئًا.

تحديدًا.. أين سوف تعيشان يا بني أنت وتالا؟

في إحدى بقاع الكرة الأرضية ربما يصيبنا فايروس الكورونا وهي تكتب مقالًا عن الحب في زمن الكورونا.. سنذهب إلى الصين ونزور سور الدولة

العظيم حيث يشتهر في العالم بضخامته وتحصيناته وقوته.. يمر سور الصين العظيم بتضاريس جغرافية مختلفة ومعقدة، حيث يعبر الجبال والأجرف ويخترق الصحراء ويجتاز المروج ويقطع الأنهار. لذلك إن الهياكل المعمارية للسور مختلفة وغريبة أيضا إذ بني السور في المناطق الصحراوية بمواد مكونة من الأحجار المحلية ونوع خاص من الصفصاف نظرا لشح الصخور والطوب. أما في مناطق هضبة التراب الأصفر شمال غربي الصين، فبني السور بالتراب المدكوك أوالطوب غير المحروق، لكنه متين وقوي لا يقل عن متانة السور المبني بالصخور والآجر. وبني السور في عهد أسرة مينغ الملكية غالبا من الطوب أوالصخور أوبخليط من الطوب والصخور. وتوجد قناة تصرف المياه على قمة السور لأجل صرف مياه الأمطار تلقائيا وحماية السور. وبالإضافة إلى دوره العسكري، أثر سور الصين العظيم على التنمية الاقتصادية الصينية أيضا. إن اتجاه سور الصين متطابق تقريبا مع الخط الفاصل بين المناخ شبه الرطب والمناخ الجاف في الصين، وأصبح في الواقع فاصلا بين المناطق الزراعية والمناطق البدوية.. حسنًا يا أمى لا أريدك أن تقلقي بشأني أعلم جيدًا ما سأفعله أخطط لكل شيء قادم.. متمنيًا دعواتك الطيبة النابعة من أعماق قلبك.. سأذهب لشراء بعض الأغراض لي وأجلس مع صديق طفولتي ودراستي مصطفى.

لا بأس يا بني.. أدعو لك بدون سبب لا داعي أن تطلب مني ذلك، وأرسل سلامي لمصطفى.. لا تتحدث مع نفسك أثناء سيرك في الطريق تجنبًا لأي شيء من عواقب وخيمة.. في حفظ الله.

لماذا يجب أن نترك بعض الأشياء في سبيل التضحية بأشياء أخرى ومن ضمن تلك الأشياء نفسك؟

حللت أهلًا.. ووطئت سهلًا.. مروان اشتقت إليك، ملامحك لا تتغير منذ آخر زيارة لنا.. مازالت خصلات شعرك لامعة في ضوء الشمس وجبهتك هادئة كما أنت.. الغريب أن عيناك لا تروقني تحمل الكثير وأسفلها سواد، أنت مصاب بالأرق أثناء نومك وهذا يظهر لي كوضوح الشمس.. ماذا حل بك يا صديقى؟

سوف أخبرك بكل شيء.. يا صديقى.. لا تغادرني من سيداوي جروحي؟

قال نجيب محفوظ جملة رائعة يا مصطفى.. "عندما تقابل أحدهم ويحكي لك عن خيبته بالناس، فهو يبعث لك برسالة معناها "أرجوك لا تكن منهم!".

دعنا نذهب إلى ذلك المقهى الذى اعتدنا الجلوس فيه ونتحدث سويًا.. هيا مروان.. هل والدتك بخير؟

نعم هي بخير وأرسلت لك سلامها.. هي تحبك مثلي تمامًا.. أتدري يا مصطفى.. في يوم ما ذهبت إلى الحانة وارتشفت رَشفَةً غريبة المزاق، مرارتها تعتصِر أمعائى المُلتهبة بفعل تِلّكَ الرشفة، نظرت إلى ذاك الكأس الذى يعتريه اللون الوردى الخارجى الذى يعترى أنحاء الكأس.. تحسسته قليلًا.. ثم احتسيته بالكامل.. لم أصلب طولي من الدوار الذى حدث لي.. لكننى احتسيت الزُجاجة بأكملها..

أكذب بالفعل.. لكن هذا الكون أشبه بزُجاجة الفودكا يجعل الأشخاص جميعًا يشعرون بالفضيلة والشرف، وفي الأصل ادعاء.

مروان.. هناك فرق شاسع أنك تخسر كجندى في حرب،

وأنك تخسر حربك.. عليك أن تعلم بأن التفاوت في الإدراك يؤدي إلى فجوة بيني وبينك.. عليك أن تعلم ما هى تِلّك الفجوة لعلَّها تكون أمل.

لقد انطفأت.. أنت لا تفهم الأمر على حقيقته.. هل تتخيل أن أستيقظ يومًا وأجد نفسي فاشل نفسي يلقب نفسه طبيبًا نفسي؟ يا للفضيحة.. أسعى للعيش في سلام وطمأنينة دون تلويث من قبل أناس يحملون الكراهية في جوفهم.

هل تخاف من المستقبل مروان؟

لا أخاف قط، بَل أخاف مِن الحاضِر،

الحاضِر المُعاش الآن، الحاضِر عابِث،

أما المُستقبل فهومُبهم.. كيف لي أن أتخلص مِن الحاضِر لأحظى بدخول المُستقبل ويكون هو حاضِري؟

لا أُنكِر انتظاري للمُستقبل، كما تنتظِر المرأة الطَمث، فيكون الطَمث هو حاضِرها.. لماذا الشر يجب أن ينتشر؟ لماذا الخير أصبح باهتًا خاضعًا أمام الشر؟

مروان أنصت لي قليلًا.. هناك الكثير من الأمور التي نجهلها ولا نعرفها حق المعرفة.. لماذا أطرافك ترتجف؟

اهدأ قُلت اهدأ.. هُناك أمل انتظر هو يُريدك.. وأنت لا تعلم صوته حِين نطق اسمك بشغف.. هو فقط يُريدك أن تكتشف طرف الخيط.. فلماذا الاستسلام؟

لذلك أريد السفر أنا وتالا.. أرى نفسي شريان يحاول الجميع قطعه، وتالا هي من أوقفت القطع.

انتظر سأوضح لك شيئًا هاما.. لا أحد يريد فعل هذا أتدري يا مروان أنت بالنسبة لي أعز أصدقائي لست محتاجا أن أبوح لك ذلك والدليل أنك اخترتني لأنصت لفضفضتك.

مصطفى.. لقد قامت بزيارتي أمس، حينَ كُنت أتنهد تنهيدة أمل.. ثم وجدتها أمامى ونظرت لها نظرةً مفجعة.. لكن..

قدر المجتمع أقوى.. لقد فتت ثنايا قلوبنا..

لحظة.. قطعت مسافةً طويلة، وكدتُ أن أرى قلبها يقفز مِن السعادة.. حينَ رأتني لأول مرة منذ مدة.. لسنا مذنبين بَل قدر المجتمع أقوى.. أقدم التحية لراعي الأبقار، لأنه يُراعي الأقدار.. حتمًا سنذهب من ذلك العالم ونحظى بالعيش في الصين خططنا لكل شيء

ألا تدري يا مروان أن هناك فايروس منتشر بشكل سريع يسمى الكورونا.. كان يصيب الحيوانات وتطور وأصبح يصيب الإنسان.

نعم أعلم جيدًا.. لكن سأفعل وأقدم له الترحيب الحار وهذا سيكون حديثي معه.

مرحبًا بك أيها الفايروس اللعين..

أتوقع لك نهاية مأساوية للغاية.. حين تدخل في أعماقي سوف تلقى حتفك للتو وبكل ثقة بلهاء وابتسامة صماء.. سوف تقفز ما بين رئتاي تُريد إصابة أيا منهم.. لكن أنت لا تعلم أنهم مصابين من قبل ظهورك فليس من المنطقي إصابة شيء مصاب من قبل وخاصة القلب.. تذكر جيدًا قبل دخول جسدي أنك ستموت داخله.. لا أخشاك إطلاقًا.. مرحبًا بك أينما كنت.

لا تعتقد أنني أتحدث معك.. أتحدث مع نفسي التي لقت حتفها من قبل مجيئك.

كورونا: لا تقلق أنا أعلم جيدًا أنني وباء تم صنعه في إحدى المختبرات من أجل إنهاء البشر.. لكن عليك أن تعلم جيدًا، أراعي مشاعر البشر التي تمتلكها أنت فلا تخف.. أشعُر بك وسوف أنهي مهزلة الحقد والجشع الذين يمتلكونها أشباه البشر.. ويدعون كونهم بشرا، وتم صنعي من أجل جشع البشر لأغراض شخصية.. لقد حسمت الأمر.. أقضي على الجميع وسأقوم بمعادلة بسيطة سأخوض داخل النفس البشرية لمعرفة المغزى الحقيقي من صنعي أيضًا.

حسنًا.. شكرًا لك.

– لماذا تريد الخوض داخل مغامرة بالنسبة للآخرين هي كارثة؟

لأنني يا مصطفى.. دائمًا أقوم بمحاربة تلك الأفكار الانتحارية، التي تحوم حول عقلي.. كما تفعل سمكة القرش تحوم حول الفريسة البشرية ليشعُر بالفزع قبل التهامه.

مروان انتبه على حالك جيدًا.. فأنت المكبل بالأغلال والخوف لك يعد أمانا.. الخذلان شب حريقا داخلك وخلق فيض الفوضى والتهور داخلك.. تجنب أن تكون وسيلة تضليل لا أكثر، تذكر.. " إن مع العُسر يُسرا ".

أي يُسر هذا المُبهَم، أى عُسر هذا شديد الوضوح..

هُنا في أرض الغاب كُل شيء مسموح يا صديقي.

تبًا، مروان.. لقد تغير صوتك وأصبح منبوحا.

صمتًا.. لا صمت بعد الآن لن يكُف عن إصدار علامة تدُل على اليُسر..

قضيت الليل وحدى أمجد كُل سعادةً ذهبت ولن تعود..

قضيت الليل وحدى أعزف ولا أجيد عزف العود..

لكن، العود عزف على أوتار الروح الحزينة، المليئة بالخزي والإحباط.

مروان.. حالتك يُرثى لها.

تبًا يا صاح.. أنظر إلى يسارك.. أهذا هوالمجنون الذي تقذفونه بالحجارة؟

الأطفال هم من يفعلون ذلك.. يستمتعون كثيرًا في أن يكونوا ساديين والتربية هي التي تؤثر على سلوك الطفل.

السادية لقد سمعت تلك الكلمة من أحدهم.. ربما أنا الذى سأغير المفاهيم الخاطئة.. هذا الرجل هو بطل في نظري.

هاهاها.. هذا بطل؟

نعم أيها الأحمق لا تضحك.. كونه وصل لتلك المرحلة فهو كذلك بالنسبة لي.. بحث عن ما يُثير سعادته لم يجدها.. حتمًا وجد ما أثار تعاسته، يا للحماقة.. ظل يبحث ويبحث لم يجد كنزه.

ما هوالكنز؟

وردة.

أنت تمزح صحيح.. أي كنز هذا؟

نعم وردة ذبلت الآن.. وداخله خراب.. لأن وردة روحه ماتت بالفعل.. أنظر إنه يحمل قنينة الخمر، ويضع السيجارة في فمه.. يترنح ويبكي.. يترنح ويبتسم.. يترنح وتتعالى ضحكاته الهستيرية.. ثم يبكي.

ثم.. ماذا؟

يبكي فحسب يا مصطفى.. هوأعقل المجانين.. أنا فقط أريد السعي إلى ذلك النغم.. ونلحن على أوتار ترك الندم.. دعنا نترك عبادة الصنم.. كما فعل إبراهيم بترك أحدهم..

فلنبكي جميعًا على ترهات الحقيقة المزيفة.. لقد قمنا بعزف ألحاننا على أوتار الأسف..

فهنيئًا لذلك البكاء.. على قبور الأحياء.. التى أصابها التلف.. حسنًا مصطفى كُلي امتنان لك على سماع ترهاتي.. أريد الذهاب إلى أمى لأجلس معها قليلًا قبل السفر.

سررت بمقابلتك كثيرًا مروان.. انتبه على حالك جيدًا يا صديقي العزيز.

إلى اللقاء، يا صاح.

الفصل الثاني

" التفشي "

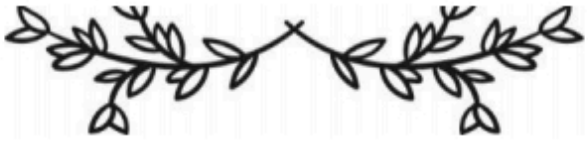

بحق الجحيم.. العالم منطفئ تمامًا.. لا شيء يفلح حتى السخرية، أصبحت كئيبة.. كان يسير على نحوغير لائق ربما يكون مصاب بطلق ناري، هذا ما يبدوعليه.. لكن الأمر غير ذلك لكن طريقة سيره تبدو هكذا، لعله يحتاج إلى طبيب.. هل أعرض عليه المساعدة أم لا؟

حسنًا.. سأفعل هذا دون تردد، فعل الخير داخلي أقوى شعور على الإطلاق يسيطر علي كليًا.. لا أتحمل أن أرى أحدًا يعاني وأظل مكتوف الأيدي.. حتمًا سوف أساعده لا محالة.

مرحبًا يا صاح، تحتاج إلى المساعدة أراك متعب للغاية.. ماذا بك؟

سعال مزمن وحرارة مرتفعة تكاد أن تشق رأسي إلى نصفين نابعة من عُمق صدرى المُتألم، أشعر بالهلاك لا محالة.

دعني أصطحبك إلى مستشفى الحميات لتلقي اللازم للاطمئنان لن أدعك هكذا.

شاكر لله وشاكر لك على هذا المعروف.. الرحمة والغفران أرسلها الله لي على هيئتك.. ما اسمك؟

مروان.. لكن دعك من هذا نحن على مقربة من البوابة الرئيسية للمستشفى.

السلام عليكم موظف الإستقبال أريد أن يدخل هذا الرجل إلى الكشف الطبي مباشرة لأن حالته الصحية لا تتحمل جلبته مُسرعًا إلى هنا رجاءً عليه الكشف الآن.

لا بأس استرح قليلًا هنا.. وسوف يتم دخولك بعد ربع ساعة من الزمن.. تفضلا تفضلا، استريحوا هُنا.

قُل لي مروان.. لماذا تقُوم بمساعدتي؟

أخذت أفكر قبل العرض عليك.. وتأملتك للوهلة الأولى من خلال طريقة سيرك الغير متزنة، الحقيقة ارتعبت لكن قلبي لم يتحمل وأقدمت مُسرعًا إليك.. وتيقنت أنك تحتاج الذهاب لتلقي اللوازم الطبية هنا.. شعرت بانطفائك أيضًا، قُل لي يا صاح بما أننا لدينا الوقت، أود أن أطرح عليك سؤالًا.. ما الذى جعلك منطفئ هكذا ملامحك تُبين الكثير لي؟

سأخبرك.. كل شيء أصبح مبتذل

حتى الصديق الحقيقى قد يكون عدوًّا محتمل.. نعم لا تستغرب هكذا أعلم جيدًا أنك تعانى من نفس الشيء، لأن وجهك شاحب مثلي تمامًا وأرى علامات الأرق في عينيك.

تحدثت مع صديق لي في هذا الأمر ليلة أمس، كلامك صحيح.. لكن علي إخبارك بشيء يتضح لي بأنك تكبرني عُمرًا.. علي اتخاذ قراري قبل تفشي المرض الجديد المُسمى بالكورونا، أظن أنك سمعت به.

نعم عرفت به قبل ساعة من رؤيتك.. في إحدى النشرات الإخبارية.

إنه خطير جدًا، ويا ترى.. من سيفني حياته لخدمتنا؟

قاطع حديثهُما

"موظف الاستقبال" حان دوركما عليكما الدخول.. في آخر الممر هذا الغرفة الثانية على يساركم مكتوب عليها " غرفة الكشف "

شكرًا لك.. هيا بنا يا صاح لنذهب إلى هناك، لتتلقى العلاج.. من الواضح أنك تحب القراءة مثلي.

مروان.. كم أحببتك يا صديقي العزيز، ممتن لك كثيرًا.. سأقول لك شيئا بخصوص الكتب، حين خاب ظنى.. بللت كتب الأدب هذه وقمت باحتساء مائها.. يا وليد شارع البؤساءِ.

- كيف علمت هذا؟

الملامح تقول ما لا تود قوله.. عيناك صديق سوء لك تبوح أسرارك إلى المارة الذين لا تعرفهم، أتدري.. لماذا؟

لأنك متهور، متسرع أيضًا، تدخن بشراهة وسكير فنجان قهوة التشرد بين حروف مظلمة تستمد قوتها من الوحدة.

- لقد قلت كل شيء عني..هيا هيا كدنا نصل.. يذنبون أكثر ممن ينعتونَهُم بالكفار، الأهم أن لا نُثير هلع الآخرين.. تفضل يا صاح بالدخول سأنتظرك هُنا.

- ذاك الهراء المتصل بالسعادة أوالحزن، الكآبة ربما هو شيء غير حقيقى.. حين ينتهي موعد الكشف هذا سأفعل ما يجب علي فعله. تفاقم الوضع بداخلي كثيرًا ولا أعلم.. هل أستطيع السفر لمقابلة تالا هناك أم لا؟

أعلم أنها بمصر الآن وأريد تحديد موعد عاجلًا أم آجلًا قبل رجوعها إلى الصين، أشعُر كأننى داخل كابوس لكن علي مواجهة الخوف.

– قاطع الطبيب حديثه الذاتي.

كيف حالك؟ أود أن أخبرك بشيء هام بأمر ذاك الشخص في غرفة الكشف.

أخبرني أرجوك.. حديثك أقلقني.. كيف حال صحته؟

ليست جيدة لأنه يدخن بشراهة، ومشتبه به بأعراض الكورونا ويجب عليه أن يخضع إلى الحجر الصحي لفعل اللازم.. عليك أن تودعه وتعقم نفسك جيدًا واحذر ملامسة يديك إلى وجهك لكي لا يرتفع عدد المصابين.

حسنًا أيها الطبيب.. لا تقلق بشأن هذا.

يا صاح.. دخلت إليك للتو لكي أطمئن ولا أريدك أن تخشى شيئًا الأمر سيصبح على ما يرام.. الطبيب أخبرني أنك سوف تمكُث هنا لعدة أيام قليلة وسيعتنون بك وسأنتهي من بعض الأشياء الهامة وسأقوم بزيارتك في القريب العاجل.

– مروان.. الله يعلم كم أنا محظوظ ويعترني حبًا لك لا يغادر سقمًا.

أومأ برأسه قائلًا: لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا، ستكون بخير.. سأذهب الآن ياصاح.. سأذهب إلى المقهى القريب من هنا وسأعود إليك.. وضع يده على قلبه وأخفى دمعه وذهب قائلًا لنفسه: أنا المكبل بالأغلال والخوف يعد أمان

الصبر والسلوان أكبر امتحان، الخزي والإحباط أكبر لحظة قذف إلى الأمام، الخذلان شب حريقًا داخلك وخلق فيضًا مِن عدم الاستسلام.

– مرحبًا أيها الطبيب.. جيد أنني قابلتك هُنا خارج المستشفى، أود التحدث معك في أمر صديقي بالداخل.. أتريد شيئًا تحتسيه؟

متشكر لذوقك الرفيع.. فلنتحدث سريعًا.. أعلم أنك تريد فهم الكثير حول ما يعانيه صديقك بالداخل.. وتستغرب من سرعة القرار في دخوله للحجر الصحي.. أليس كذلك!

نعم صحيح، فلتكمل رجاء.

يتسم مرض فيروس كورونا (كوفيد١٩) بأعراض خفيفة تشمل ألم الحلق والسعال الجاف والحمى، ويمكن لبعض الأشخاص أن يصابوا بمرض أشد وخامة قد يؤدي إلى الالتهاب الرئوي أو صعوبة التنفس.. لكنه سريع التفشي بطريقة غريبة وهذا ما يجعله أكثر قوة في الانتشار والتهام كل ما حوله كأنه يُريد إزالة البشر من كوكب الأرض، تفسير هذا يدل على شيء واحد فقط وهو أن الطبيعة تعلن التمرد وتطهير الإنسان من الدنس، أتدري يا فتى.. أشعُر وكأننا نحن الفيروس الذي أصاب الأرض، وكورونا هوالعلاج.. أهاب لدرجة عالية من تفشيه بيننا.

أيها الطبيب، أتقصِد أنه.. سيعانق الجميع دون استثناء أحدًا، لن يُفرق بين غني وفقير، بين ذوات البشرة البيضاء والسوداء، بين دول العالم الأول والثالث.

– نعم، هذا ما أشعُر به.

- حسنًا، لدي تفسير آخر.. حين يجتاح الألم أعماق البحار والمحيطات، هنيئًا بانتفاضة الأمواج.. أسماك القروش على الشاطئ طفرة جينية محتملة عائمين في الرمال المتحركة على أمل إنهاء كل ما هو يسعى لتعكير مزاجهم واصطيادهم والغرض أنهم فريسة للبشر يجتاح داخلهم فساد النفوس.. تلك الأسماك كما قلت سابقًا هي طفرة جينية مختلفة تمامًا.. تتمنى إزالة فتيل تلك النفوس المريضة.. فهي تفكر قبل كل شيء.. وهذا ما تشهده الدول الأوربية المتقدمة كأن الكورونا سمكة قرش عائمة على البر.. تبًا.. فما بالك بدول العالم الثالث! هناك نشرة إخبارية دعنا ننصت إليها.
- تضم مقاطعة خوبي الصينية ومركزها مدينة ووهان أكبر مختبرات بحث علمية في جنوب شرق الصين وتم تأسيسها عام ٢٠٠٠ لغرض دراسة الفايروسات المتجمدة داخل الأحفوريات القديمة التي يتم البحث عنها في أطراف مقاطعة خوبي التي تضم مدينة ووهان، وتم العثور على أقدم هيكل لحيوان الماموث في العالم داخل المقاطعة وكان يعيش في أوروبا الوسطى قبل مليون سنة والتي شدّت أنظار علماء الأحياء والأنثربولوجيا " علم الإنسان ودراسة السلوك البشري .."

وتتركز معظم حالات العدوى في عاصمتها ووهان، حيث أن تفشي المرض قد بدأ بالانخفاض، وأن إيطاليا على حافة الهاوية لأن العدد يتزايد بطريقة مريبة والوضع مزري للغاية، والأطباء يهرولون داخل المستشفيات وعدد ضحايا الفيروس لم ينخفض، ومن شدة التكدُس أصبحت جميع

الممرات بها أفرشة فقط وكل مصاب أما أن يتوفي وأما يصمد وفي النهاية يلقى حتفه، الأطباء يبكون قهرًا لأن الوضع تخطى الفزع ذاته الوضع خرج عن السيطرة.. إيطاليا أعلنت إنهيار نظامها الصحي، خلال فترة وجيزة.. أسبانيا كذلك.. النرويج أعلنت عن ٨٠٠ حالة فقط ثم أعلنت خروج نظامها الصحي من الخدمة.. السويد كذلك.. الدنمارك.. فنلندا..

ألمانيا توقعت إصابة ٧٠٪ من سكان ألمانيا البالغ عددهم ٨٣ مليون نسمة..

رئيس الوزراء البريطاني توقع إصابة ٤٧ مليون بريطاني ووفاة مليون شخص منهم..

أمريكا دخلت في حالة طوارئ لم تدخلها حتى في أحلك أيام احتكاكها بالاتحاد السوفيتي في ستينات القرن الماضي. ويجب عليكم وعلى الجميع أن يلتزموا بمنازلهم.

- أنت يا هذا! أنت يا هذا كُف عن التدخين بشراهة، سيُصيبك ذلك الفايروس اللعين.

على رسلك قليلًا أيها الطبيب.. أتدري بأن " التدخين مضر بالصحة ويسبب الوفاة " كما مكتوب بالضبط.. أليس كذلك!

- وضح أكثر.

اللعنة بذلك لم أكترث بتلك الجملة إطلاقًا، سحقًا لها.. جملة بذيئة تشعل نشوة الفضول لمعرفة المزيد داخلي أيها الألم الغير مؤلم الغير مرتب.. كنت أود الإقلاع عن التدخين لكن فضول الجملة يدفعني إلى شيء ما

أجهله، أوهم نفسي أنني أجهله.. لكنني على يقين بأن هذه هي فرصتي الوحيدة للاشتعال الذاتي.. أرى وجهي المألوف لي دائمًا.. لكن لا أدري.. لماذا لا أطيقه اليوم؟ أعلم أن الوضع سئ أيها الطبيب لكنني لم أعد أحتمل المزيد، بداخلي بركان يغلي هلعًا وفزعًا.. ولا أدري.. ما الذي سوف يحدث؟

قاطعهُما صوت التلفاز مرة أخرى، بالنشرة الإخبارية.. بعد بدء العدد بالانخفاض بالصين، ازداد لعدد غير محدد ونأمل بعدم حدوث كارثة.. ونختم بسؤال:

- هل الفايروس يهدد الكوكب بالانقراض أم سيتم التخلص منه؟
- أرأيت يا هذا! لنأخُذ الحذر.

ششش.. اسمي مروان، عن أي حذر تتحدث جميعنا سينتهي بنا الحال بموتنا بفايروس يُكمن قوته الكامنة في سرعة انتشاره.. سيتحول إلى شيء لا يطاق.

- وقاطع حديثهُما للمرة الثالثة على التوالي مكالمة هاتفية لمروان.. أعتذر أيها الطبيب يجب علي الإجابة على الهاتف إنها والدتي.

مرحبا، أمي.

- أين أنت يا بُنى؟ هل شاهدت النشرة؟

نعم شاهدتها للتو.

- يجب أن تأتي في الحال، في انتظارك.

سأنتهي من بعض الأشياء أولًا، لن أتأخر.

- انتبه على نفسك.

- يؤسفني علي المغادرة، سررت بلقائك، لعلنا نتقابل مرة أخرى لا أدري.

تصحبك السلامة، مروان.. اعتني بنفسك.

- كم أنا محظوظ كاترين، التقيت بكِ صدفة ما أجملها.. كيف تسير الأمور معك؟

ربما بخير، لكن الوضع مُقلق للغاية، وخاصة أنا قلقة جدًا على تالا، لأنها على متن الطائرة المتوجهة إلى الصين، بحكم عملها في تلك الجريدة، لتجمع المقالات عن الحالات المُستجدة بذاك اللعين كوفيد ١٩.

- تبًا.. كنت أود القيام بموعد معها، وأنوي على السفر إلى هُناك، الآن أصبحت أكثر ارتباكًا، ولا أعلم.. ما الذي أفعله؟

سأذهب حيث كُنت، قبل أن أتركك.. لماذا كُل شيء يشتعل حولي وداخلي؟

- بالنسبة لشعورك الداخلي سببه العوامل الخارجية.. الضغوطات النفسية اسم تجميلي، لوحشية الأعماق.

حسنًا.. تحققي جيدًا من تلك الجملة.. " كُل فرصة من ذاك العالم إن لم تنتهزها فستسحق ".

- ماذا تقصد لم أفهمك؟

ستفهمين عاجلًا أم آجلًا.. لما العجلة!

لأن تلك الجُملة أربكتني.. وأطمع أن أعرف عنها الكثير.

ستعلمين، مع تحديد الموعد القادم لنا.. لقد تأخرت والدتي تنتظرني تريد بعض الأشياء.. لكن، حين يزداد الوضع سوءًا، ستفهمين تلك الجملة جيدًا.. الصورة ستكون واضحة أكثر.

- ماذا دهاك يا مروان؟
- ماذا دهاني؟ ألا تدرين الخطورة التي سنشهدها قريبًا، وشاهدتها الدول الأوربية ومنظمة الصحة العالمية تعلن أن الفايروس أصبح وباءً عالميًا، مثل الطاعون في عام ١٧٢٠.. الكوليرا ١٨٢٠.. الإنفلونزا الأسبانية ١٩٢٠..

وفي كُل قرن من تلك القرون قُضي على ثلاثة أرباع من سكان الكوكب.. وكورونا ٢٠٢٠.. ها هويقضي بتوحش وكأنه ينتقم منا جميعًا، وكأنها نهاية العالم.. سُحقًا.

هدئ من روعك قليلًا.. سأنتظر الموعد القادم.

- بعد أن تصافح كلاهُما.. وملامحهُما تحمل الأسى.
- يتسكع مروان مُحدثًا نفسه قائلًا: في هذا القرن الواحد والعشرون لم نرَ عتمة أشد من هذه الجائحة التي تُحيط بالإنسان من جميع الجوانب، وسيؤدي إلي عواقب وخيمة..

حيث أننا لا زلنا في بداية الأمر لكن الرجل الذي أصبح صديقًا لي لازال في المستشفى ومشتبه به في أعراضها أخشى حقًا بأن يكون مصابًا بالفعل، ولو كان مصابًا لقد صافحته وقمت بملامسته.. كم أهاب من تواجد حالات مصابة، أظهر عَجرَفَة في تصرفه وكلامه وكأنه يتحدث مع شخص ما.. نظر حوله وملامحه باتت عليها الفزع، كان ينظُر باستحياء إلى زجاجة المياة التي بيده وأفرغها كاملة على رأسه قائلًا: بنظرة استحياء مرة أخرى للأشخاص الذين يتشاجرون يا ليتكم تعلمون ما يخبئ لنا المستقبل القريب، سيتوقف شجاركم هذا..

"لأن الشر أشبه بنشوة عابرة تنتهي بمجرد التفكير المنطقي، إنها صرخة الطبيعة التي تلقت الكثير من قذارة نفوسنا فنحن لسنا ملائكة وتم قتل الملائكة، إنها انتفاضة الطبيعة الصارخة الصارمة، كفاكم تحطيمًا الأصنام.. أصنام الحب، الخير، أصنام الموسيقى التي تُعطينا دروسًا في التناغُم، أمجاد الفراعنة تكاد أن تُحطم أيضًا ولا يعلمون جميعًا بدون استثناء نكمل مسيرتهُم ولا نتوقف بعدهم ".

– أعتذر يا أمي، تأخرت.

نحن سنصبح في مأزق يا بُني، ولا ندري ما العمل جميع الدول مُصابة..

– أود قول شيء هام جدًا.

"لعل المِرحاض أطهر مِن أطهرهُم، كم كُنت أتمنى أن لا آرى مَن يدعي الفضيلة والشرف، وبداخِلهُم الكراهية وادعاء الحُب، والحقد..

أتعلمين، تِلّكَ القافِلة التي تسير، تعلم ما تُريد مِن نشر المحبة والوِد والألفة، وهُم ذئاب تعوي حول تِلّكَ القافِلة للإساءة بها فهمًا..

الشر يغوي الأذكياء، أما الأغبياء فَهُم محظوظين للغاية، ولكِنَهُم ضحية للأذكياء الذين يحبون الشر..

لكِن حينَ يجتمع الذكاء مع الخير، فحتمًا سوف يصبح مجتمعنا خيرًا بذكاء فلا بأس مِن وجود الأغبياء حينها لأنهُم سوف يرتاحون..

لكِن حينَ يجتمع الغباء مع الخير، فحتمًا سوف يصبح مجتمعنا ساذِجًا..

لكِن حينَ يجتمع الغباء مع الشر، فحتمًا سوف يصبح مجتمعنا في حالة عارِمة مِن الفوضى واللامُبالاة، وهذا ما أراهُ حاليًا.. الصورة واضحة الآن يا أمي.. سأخلد إلى النوم لعل ما نراه كابوسًا.. لا أدري.

الفصل الثالث

" ظلم الرأسمالية "

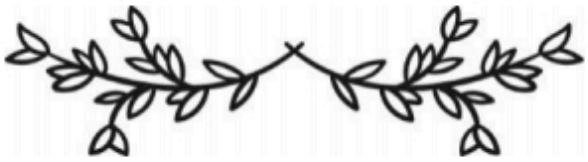

- أتعلم يا آدم كم أنا ممتن لوجودك اللعين هذا! أنت كوسيلة إعلامية تُحدِث بروباجندا من اللاشيء طعم لي كصياد يصطاد الحوت من عُمق المحيط، ويعلم أنه سيغرقه هو ومن معه على متن السفينة، ليحظى بوجبة شهية، وأنت الوجبة.

كشخص قضىَ حياته رجل أعمال ذو جلال ودلال وينتهي من تلك الصفقة ويبدأ غيرها، لجلب المزيد من الأموال والنقود الخضراء التي من شدة لمعانها تكاد ألا تحترق، وفي لمح البصر، تنتهي حياته لمجرد احتراق ورقة واحدة، أنت يا آدم كُنت مثل الورقة بالنسبة لي.

- ما هذا؟

لا أفهم شيئًا على الإطلاق.. ماذا عن ذاك الوعد الذي وعدته لي سابقا، تخليت بهذه السهولة، تخليت عن أحلامنا وطموحنا، تخليت عن اليوتوبيا التي كُنا سنُحققها سويًا، على الأرض التي أصبحت ينبوع من الدماء، بسبب سواد النفوس.. سُحقًا يا أيها اللعين.. لم أعُد أصدق في الخير والشر، والأبيض والأسود، لست قادرًا على التفرقة بين اللون الأحمر والدماء، يا ليتني كنت فكرت لوهلة عن المثالية التي قُلت عنها..

"إذا أصبحت مُفرطة يكون الأمر مُقرفًا ".. وها هوالأمر أصبح شديد القرف.

- اذهب فأنت أصبحت تائه بين كلمتين لا ثالث لهُما..

"مُفكِر يُريد البناء أم جاهل يُريد الهدم"

أجاب صائحًا: اغرُب عن وجهي فأنت ثالث بيني وبين حواء وأفسدت كُل شيء.. كم أنا مغفل!

استيقظت حواء على صوت صراخ آدم.. ماذا بك؟

– منذ.. متى وأنت تصرخ هكذا؟ ما الذي فعله إبليس بك؟

أجب الآن.

كُنا لعبة يا حواء، أصابتنا لعنته الحقيرة التي ستودي بنا إلى التهلكة لا محالة.. كلامه سابقا أنه يُريد مساعدتنا، لكنه الآن أراد أن يخسف بنا الأرض، ألا يكفي أننا خرجنا من ملكوت الرحمن بسببه، الجشع والضَغينة داخله وللمرة الأولى تحدث معي وكأنه "لا يُضْمِر ضَغينةً لأَحدٍ".

– صاح آدم إلى حواء: بما أنه استخف بعقولنا فلن يوسوس لنا مرة ثانية.. أفشي لكِ سرًا لا يعلمه أحد سواكِ..

"سنلعب لعبة خبيثة بعض الشيء، لنذهب له إلى البهو أسفل عرشه هو يمكُث به أغلب الأوقات فنطلب منه الغفران، إذا تم قبولنا وسمح لنا بذلك فنحن مَن سنصنع المثالية على الأرض وسيكون الله حليفَنا، نحن فقط نُريد تعطيل ما ينوي فعلهُ"

– جيد يا آدم، راقتني الفكرة كثيرًا.

– لنبدأ إذا ونذهب له، لكن لا تقلقي مِن ما سوف يحدث.

– هيا بنا يا آدم.

– عليك السلام إبليس، لقد جن جُنوني بالأمس.. وجئت طالبًا العفو والغفران أرجوك.. أتيت أنا وحواء لتسامحنا.

أهلا أهلا أهلا، أيها الوغد، لا لن يحدث هذا.

– يا أيها الطاووس، بالأمس حدث شيء مروع للغاية لقد

فزعت مع نومي، توجهت إلى المرحاض وتقيأت وبعد أن انتهيت، وفجأة اِرْتَطَمَ رأسي في الوحل، وأصبحت أصرُخ دون توقف، دون مبرر.. عقلي تمرد بقوة لا تُطاق، فقدت السيطرة الكاملة على جسدي أصرُخ، وأضرب رأسي في الحائط، لا أدري.. ما الذي يحدث لي؟ تتعالى صرخاتي أكثر فأكثر، جسدي احمر بفعل حرارته العالية.. تبًا.

وبتُ هكذا حتى فاض بي، ونزفت الدم من أُذنيّ، وتكاد حنجرتي أن تفقد وظيفتها، وكدتُ أن أبتلع لساني.. انقلب جسدي رأسًا على عقب، وشعرت بالاحتراق في جميع أنحائهُ، وتوقف عن الحركة فجأة والأصوات التي كان يُصدِرها رُغمًا عنه.

– يكفي، يكفي، يكفي.. فلتهدأ الآن.. القادم أسوأ.. فكُل سئ هوبالأحرى شيء جيد.. أين الطبيب؟

وبت هكذا أُكرر ذلك السؤال حتى نظرت إلى الحشرة التي أتت، قالت الحشرة لي:

"ادعسني لعل دعسي يجعلك بخير"

– كيف الحشرة ترحم وأنت لا؟

لا لا لا، أنت تكذب يا آدم.

– صدقًا، أصبحت كطائر يبحث عن وكر ليختبئ به.

ها ها ها، حسنًا يا آدم كُنت أعلم أنك ستأتي، تفضل هُنا في ذاك العرين ستجد راحتك.

يعتريني أنا وحواء امتنان لك، رائع.

كفى ثرثرة ولنبدأ لعبة أكثر ظُلمًا، وهي "الرأسمالية"

– ماذا يعني ذلك المصطلح أيها الطاووس؟

يعني الكثير.. اصمت وأنصت للعالم للعملاق الذي لا يتحدث..

يأكل فحسب، ينتقم بشراسة.. ظلم الرأسمالية.. وله علاقة وطيدة مع الوباء المنتشر.

– سمعت به.. إنه الوباء ظهر ليثبت نفسه، وأثبت بالفعل..

يُدندن للحب دون توقف، يلتهم الكراهية..

قد أثبت أن الصراع الطائفي لا يفيد،

لا يخشى الخضوع، يتمدد بالرطوبة،

ليُثبت أنه الفائز بالبطولة.

اندفع لعناق الجميع، ليصبح كُل شيء على ما يرام.

العالم أصبح بسلام.

– ماذا المغزى الذي تقصده؟

لا شيء إطلاقًا يا إبليس، أريد معرفة المزيد عن الرأسمالية.

- أنصت جيدًا.. نظام اقتصاديّ تكون فيه وسائل الإنتاج مِلْكًا لأصحاب الأموال الموظَّفة يقوم على الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج وخلق السلع والخدمات من أجل الربح، الربح لا شيء آخر.. يؤمن ذلك النظام الاقتصادي بالربح المادي محفزًا للأفراد على المبادرة والمخاطرة واستثمار رؤوس الأموال لكسب المزيد.

حسنًا، رائع لقد فهمت.. لكن.. بماذا يُفيد الأمر؟

- سنصنع عالمنا الذي نحلم به، الخالي من السلبيات والمقارنة مع العالم الخارجي.. فكيف يحظون بالسلام وهناك وباء منتشر يأكل بشراهة.. يا مروان.

- استيقظ يا بُني.. استيقظ.. لماذا تتألم أثناء نومك؟

إبليس مرة أخرى يا أمي، تحدث معي عن أشياء بشأن هذا الوباء وقد ذكر الرأسمالية.. هل حقًا العالم سيحتضر ويبقى فقط الرأسماليون؟ سنلقى حتفنا جميعًا والغريب أنه ذكر اسمي الحقيقي بينما أنا كنت آدم داخل الكابوس.. لا أدري يا أمي.. ما الذي ينوي ذاك اللعين فعله؟

علي مقابلة كاترين الآن صديقة تالا لأمر هام وضروري.

يا بُني عليك أن تأكُل شيئًا.. ألا تزال تنوي السفر!

لا يا أمي ليس هناك متسع للوقت، ولن أسافر سأبقى هنا.

تصحبك السلامة أينما كُنت، لا تتأخر كثيرًا في الخارج.

حسنًا لا تقلقي، بشأن هذا أنتِ مَن تستحقين الاعتناء في الوقت الحالي أكثر من أي وقت آخر.. أنا ذاهب ولا تتابعي النشرات الإخبارية كثيرًا، لا أتحمل أن يُصيبك الاكتئاب كما أصابني يا أمي.

اعتني بنفسك جيدًا.

- تريدين شيئًا؟

لا فقط كُن بسلام وأمان.

- لم تُجِب كاترين على اتصاله.. ظل يتصل كثيرًا، حتى أجابت، قائلة: لما كُل هذه الاتصالات يا مروان.. ماذا حدث؟

عليكِ النزول في الحال، هناك أمر هام أود التحدث عنه وفي غاية الخطورة.

- إذا.. أين أنت؟

أنا الآن جالس على مقهى تحديدًا الجانب الآخر، من منزلك.

- على الفور، أعطني مُهلة أغير ملابسي.

جيد، أنتظرك.

- مرحبًا بك.. قد انتظرتك أن تنهي مكالمتك الهاتفية، أريد قول شيء بسبب أمر ما يُقلقني، من الواضح هيئتك تدُل على النُضج، أنا لا أفقه شيئا.

تفضل، تفضل بكُل تأكيد.. ما اسمك؟

- شكرًا لك، اسمي أحمد.. سأحكي لك أمرًا ضروريًا لقد علمتُ بشأن الوباء الذي اجتاح العالم أجمع، وأهاب أن يجتاح مجتمعنا هذا

الذي لا يقوى علي التحمل سواء في المعيشة أو التحمل النفسي الذي ينحاز عند سماع شيء مؤلم.. وضعي الحالي أنا أعمل ولله جزيل الشكر جعلنا مستورين لا نحتاج إلى شيء، المُعضلة هُنا أنني أعمل اثنى عشر ساعة في اليوم، وقوت يومي أخذهُ في نهاية اليوم ولا أستطيع الادخار منه.. الشيء المرعب بالنسبة لي لستُ خائفًا على نفسي، بل على أولادي وزوجتي، وإذا عمت المأساة هُنا سيتم التخلص منا كما النفايات بحُكم رجال الأعمال الذوات.. شأنهُم ومعارفهُم تفوق كُل شيء.. إلا مَن رحم ربي.

أفهمك جيدًا لا داعي للشرح المطول.. لكن سأقول لك بأنه إن وصل بنا الحال إلى الأسوأ أظن أن رئيسنا سيعتني بنا جميعًا دون استثناء أحد، سيرسل لنا كُل شيء نحتاجه، فلا داعي للقلق حينها.. أتدري أنه يجب علينا الصبر من أجل تخطي هذه الأزمة التي تُشكل علينا عبئًا كبيرًا على أنفسنا أولًا، وثانيًا على أحبائنا يجب أن نصبر أمام ذاك البلاء وسوف نتجاوزهُ فلا داعي للقلق والتوتر النفسي.

أشكرك على طمأنتي كثيرًا.. تصحبك السلامة.

- مروان ما الذي جعلك تتصل بي بهذه الطريقة.. ما الأمر؟ ومَن الذي كان معك؟

الأمر أن الوضع أصبح خطيرا للغاية، وهذا الشخص لا أعرفه كان مارًا أمامي وسألني عن الوضع في المستقبل بسبب الجائحة.. وهذا ما سوف أحدثك عنه.

– إذا، دعنا نجلس في مكان آخر.

رائع، أنا أعرف مطعمًا جيدًا قريب من هُنا ، لنأكل سويًا ونتحدث بشأن المُعضلة التي سوف نراها عاجلًا أم آجلًا.

– دعنا نذهب إليه، ونتحدث قليلًا ونحن في الطريق.

راودني حلم، أقصد كابوس.. وهذه المرة الثانية يأتيني.. إبليس وجنوده، أصبحت أخاف النوم.. لكن مختصر الكابوس أنه فتح لي آفاق كُنت أجهلها ومتوقع عواقب وخيمة.

– قلقت كثيرًا.

لا تكترثي كُل ما في الأمر، أنه سيتم تفشي الوباء بيننا وأنتِ تعلمين أن مصر من الدول المزدحمة، الآن نحن في طريقنا نحوالانقراض، والطبقة الأكثر تضررًا هي الطبقة الوسطى وطبقة الكادحين، أهاب لدرجة الفزع من المُعضلة الأكبر، الذين يعملون في جمع القُمامة إذا تخلوا عن عملهم حينها حتمًا سنصاب جميعًا، وأنتِ تعلمين أنهم رجال أحترمهم كثيرًا، لأنني كُنت أعمل مثلهم، وأيضًا أكلت من القُمامة مرة كان ألذ طعم تذوقته في حياتي، تذوقت مرارة عيشهُم، تذوقت خُذلانهُم من الجميع، تذوقت عدم الاحترام من رجال الأعمال باستثناء الجيدين منهُم أتكلم عن أشباههُم وليس هذا فقط بل تذوقت الألم، الألم يا كاترين، أتدرين.. ما معنى هذا؟

– عن أي ألم تتحدث، اشرح؟

لحظة أنصتي لي.. أترين من القادم من بعيد.. إنه سرب من الجراد هائج جائع يمكُث منذ سنوات كثيرة جدًا.

– تخلى عن فلسفتك هذه وتحدث سريعًا.

ها ها ها، عليكِ التخيل الآن.. على مقربة من الحدود يقترب أكثر وأكثر.

– ألا تخاف يا مروان؟

لم أعُد أشعُر بحجم الكارثة.

– ماذا بعد؟

يمتلك أسنانًا لا نملكها نحن إذا وجد بشريًا على الأرض سيأكله.. سيحمل الجسد الهزيل هذا بفضل أسنانه، يمينًا ويسارًا، أعلى وأسفل، ستكون التحركات هكذا بفضلهُم ستنبع الدماء من عينيك أذنيك أنفك، وفمك.

– ألا تشعُر؟

لا إطلاقًا.. قد أتى الطعام أنا جائع.

– أحببت القصة.. أكمل فحسب!

جسدك في الهواء الطلق أشلاء ودماء في كُل مكان مختلف.. ستنزف كثيرًا حتى الموت.. فهمتِ الآن.. أود أن أوضح لكِ شيئا آخر.. أن تلك اللحظة هي لحظة الحرية لي.

– لكن أنت نسيت الجزء الهام من القصة.. عليك إيجاد اللغز الذي تُخبئه داخلك.

لا تفكري، لا تفكري.. سأوضح لكِ.. "الخريف حيث سقوط أوراق الشجر.. الربيع حيث تجديد الأوراق.. وهذا ربيعي يا كاترين، سنتجدد جميعًا.. هيا لنأكل..

"ونستمتع بقُبح الواقع.. لا أكثر"

– ماذا عن رجال الأعمال؟

أشعُر وكأنك تنعتهُم بالغباء.. لماذا؟

سيتم القضاء كُليًا على الكادحين سيأكلون العالم بسلطتهُم ونفوذَهُم، سيتحكمون بكُل شيء.. "كامرأة تمردت على ذاك الخبيث الذي تدثر برداء الأحرار وهو من العبيد"

– يا مروان، لا أظن بالتأكيد يخافون الله.

يجب أن تفهمي أن.. "نفس المُخدر الذي خلق مُفكِر، يخلق متطرف"

– دون غضب قد فهمت.. بأن الضمير قد أعدم بفعل جشعهُم.

جيد، إذا.. تبًا نشرة إخبارية أُخرى دعينا ننصِت إليها.

الحكمة تُنصِت، لا ترتعبوا لا داعي لذلك لكن بناءً على الأوضاع التي تمُر بها البلاد الأخرى، قد تم إصابتنا والعدد الفعلي للمصابين ليس معروف حتى الآن فلا داعي للهلع، هي محنة وسوف نتفادى تلك الفترة وتمنياتي للجميع للاطمئنان النفسي أولًا، صحتك النفسية أهم من صحتك الجسدية.. لا داعي للقلق.. لأننا سوف نخبركُم بالأخبار المستجدة.

– مروان توقعاتك صائبة، لا أفهم.. ما الذي سوف نواجهه في المستقبل المريب؟

كُفي عن الثرثرة، دعينا نذهب إلى مستشفى الحميات للضرورة، هناك صديق قابلته صدفة كان مُتعبًا وقُمت بمساعدته ويشتبه به بأعراض Covid 19.. هل ستأتين معي أم لا؟

– نعم هيا بنا في الحال، لنتأكد إذا كانت أعراض عادية أم مُزمنة.

هناك طريق مُختصر، لنذهب من خلاله.. رأيتِ رجال الأعمال سوف يستغلون الفرصة.. هم أكثر فئة لا تكترث بما يحدث، لأن كل ما يُشغِل بالهُم النقود فقط ولا يكترثون لأرواح أشخاص مُتألمة.. ها نحن قد وصلنا لندخل.

– مرحبًا "موظف الاستقبال" أتتذكرني أنا الذي جئت منذ ثلاثة أيام مع صديق لي وتم حجزه هُنا بغرفة الحجر الصحي.

– نعم أتذكرك جيدًا.. ما اسم صديقك؟

– لا أدري ما اسمه، قابلته صدفة فحسب في إحدى الطرقات وكان مُتعبًا للغاية وقُمت بتوصيله إلى هنا.

– حسنًا، دعني أبحث في كشوفات العزل.

– بسرعة أرجوك.

أنت هُنا.. جيد جدًا.. انتظرتك كثيرًا لكنك لم تأتِ.

أيها الطبيب، رائع أنك هُنا.. ما أخبار صديقي؟

تتذكر عندما قُلت أن صديقك مُشتبه به.. قد توفي صديقك بفعل إصابته بالفيروس وكان في مرحلة متأخرة.

رأيتِ يا كاترين، هذا ما كُنت أخاف منه وقد حدث.. لكنه أعطاني ظرفًا صغيرًا ما حين تركته أول مرة هُنا وكأنه كان يعلم أن هناك أحد سيساعدهُ.. أين هو؟ أين هو؟

وجدته، لنقرأ ما بداخله.. "أنا أحد رجال الأعمال الغير معروفين أمتلك شركة خاصة وكُلي امتنان لك على وقوفك بجانبي، وهذا توكيل لك بأن تُدير الشركة بكُل ضمير، لا تكُن من الجشعين.. لا أمتلك عائلة وأعتبرتك عائلتي"

- مازال الخير موجودًا، تفائل يا مروان.

صحيح يا كاترين، لكن بعد رؤيتنا هذا بأم أعيننا فالوضع ليس مُطَمئِنًا.

- أيها الطبيب، انتظر.. أنت قُمت بالاستخفاف بعقلي ونعتني بالغرور.. ألا تدري.. ما فائدة الغرور؟

يجعل منك أكثر اعتناءً بنفسك.. لا برهان لك أنني مغرور حقًا.. هل إرضاء الناس غاية؟

يا فتى.. هم يدركون بأنها غاية ويجب عليك أنت تُدرك ذلك.. أنت هزيل الجسد.

- أنصت جيدًا أيها الطبيب الموقر... نعم هذا صحيح وهذه هي الحقيقة المطلقة المرئية مئة بالمئة.. لقد أكلت نفسي روحيًا..

نحرتموني بجدارة.. لا تخبر أمي، أنني ابتعدت عن بني الإنس.. ستقلق علي كثيرًا يا أحمق، أصبحت بخير جدًا..

مهلًا يا فتى.. لماذا لون عينك تغير؟

- لا تُقاطعني.. الوحش البشع اللعين ينظر إلي ركضت نحوالغابة تحديدًا أعلى شجرة التفاح وذاك الثعبان تحدث إلي، أسود اللون عليه نقوش تُشبه الحناء البنية ربما طفرة مختلفة لم أرها قط في حياتي، خفة يد أمسكته جيدًا وقام باستفزازي حين قال أنا أستلطفك.. لماذا الثعبان يستلطفني؟

أحدث فجوة داخلي قلت له بأن العالم يتساقط بشكل سريع جدًا.. نوبة قلبية مفاجئة في تلك اللعبة.. ربما نحن أحد مشاريع تخرج كائنات فضائية.. الملحمة الكبرى آتيه لا محالة.. سيعلنون الغزوعلى الكوكب أجمع سيصيبنا الشلل الدماغي حين يبثون جراثيمهم اللعينة تلك على وجوهنا.

تبًا لعقلك، يا فتى.

- لحظة، تحدثت إلى الثعبان بهذه الطريقة.. الشفاء يا ثعبان لا أكثر هذا ما أريده.. حينها كنت أشعُر أنني أفقد سمعي وبصري مشوش.. هل أنا أحتضر؟ أم هذا تبشير للغزو؟

وكان رده لي مقنعًا لقد علم أنني قد طلبت المعرفة القصوى الحقيقة وصرح قائلًا: أنني أصبحت واحدًا منهم الآن.. قد سمع أنين همس لي عندما قلت أنني أحب الموتى.. وهويريد مساعدتي على الانتقام لا أكثر..

وجعل حول جسدي الهزيل هذا هالة وأخذ روحي وأصبحت عقلًا دون جسد، حينها قال لي: فلتودع جسدك..

الأمر ليس بهذه البساطة يا فتى.

- ابتساماتي كانت تُخيفهم.. مثلك تمامًا لأنني أرى أطرافك ترتجف.

يا فتى.

- أنصت.. الابتسامة دليل على وجود الخيبة والهزل حولك والإحباط الذي تعرضت له.. لما أنت متوتر هكذا؟ لا تقلق ستتخلص من ذلك هنيئًا لك.

لا أتحدث مع المجانين.. سأغرُب عن وجهك.

- لنذهب من هُنا كاترين، كان يجب علي إخافته لأنه استهزأ بعقلي من قبل وأنا لا أحب هذا.. هل تودين احتساء القهوة؟

نعم، لكي نهدأ قليلًا مما رأيناه.

- إذا، نجلس هنا.

أخبرني يا مروان، دائمًا أشعُر بأنك غامض بعض الأحيان.

- دائمًا أشعُر أنني عنصر مرفوض منطوي لا يأتلف.. لذلك يتضح بأنني كذلك.

قاطع حديثهُما التلفاز، بالنشرة الإخبارية..

"يؤسفنا القول بأن عدد المصابين في تزايد وتوفي شخص في مستشفى الحميات، وبها العديد من المصابين داخل غرف العزل".. هل سينتهي بنا الحال كذلك؟

لا نعلم هذا في الوقت الحالي، لكن كل ما عليكم فعله هو تطهير أيديكم جيدًا بالصابون والكحول تجنبًا للإصابة.. كان الله في العون.

- كاترين لدي رؤية أخشى أن تحدث.

- ما هي يا مروان؟

حين يدخل شخص ما لطلب الأشياء الخاصة للدفاع عن نفسه من الفيروس، سيحدث الآتي:

مبارك.. هذه الكمامة محجوزة لشخص دفع أكثر، الذى أستطيع فعله لك هو رش بعض من الكحول مقابل المال لأنني لا أمتلك زجاجات للبيع فيكفي ذلك.

حسنًا.. كم تريد؟

خمسة عشر جنيها مقابل الرشة الواحدة.

تبًا لك.. لا أريد.. هنا كُل من يمتلك مشروع خاص له حتى لو كان صغيرًا، يستغل الفرصة ليربح أكثر.

ومن ثم اتفق الجميع على اقتحام جميع الصيدليات الموجودة في المنطقة قسموا أنفسهم إلى فريقين.. فريق إلى الجهة الشرقية وفريق إلى الجهة الغربية.. وكل من الفريقين يحمل هاتفًا واحدًا للتواصل فيما بينهم.. إذا

وجدوا صيدلية مغلقة حطموها وأخذوا ما بها من مطهرات مخبئة، مطهرات فقط.. وإذا وجدوا صيدلية مفتوحة يضربون الصيدلي ويأخذون ولن يكفوا عن الشراهة المفرطة في أخذ المطهرات.. والجميع يهرول طمعًا في الحصول على مطهر واحد فقط.. وأرى هنا أن الرأسمالية الظالمة تُنتج السرقة من قبل الكادحين الطامعين في العيش الكريم وبسبب الظلم تم فعل هذا رغمًا عنهم.

ومن ثم نفذت جميع المطهرات التي تم سرقتها.. وبات يسألون أنفسهم.. ماذا نحن فاعلين الآن؟

أصابهم الرعب والخوف من الإصابة.. هم لا يعرفون أنهم متعافين..

لكن قد ماتوا خوفًا.. وهنا أرى أن الخوف الحقيقي من شيء مجهول وغامض أصاب حالة من الهرولة الغير مفهومة التي ليست لها أي تبرير سوى أن هرمون الأدرينالين ارتفع عند زيادة الشعور بالقلق.. وهذا بسبب أن الغدة الكظرية من الغدد الصماء التي تعمل على إنتاج مجموعة متنوعة من الهرمونات بما في ذلك هرمون الأدرينالين.

– سألته متأسفة: ما هي الإجراءات اللازمة لنتخذها؟

لا يوجد إجراء واحد سوى النجاة بأنفسنا فقط النجاة يا كاترين، لأن حينها كُل رجل من رجال الشرطة في الأقسام سيتلقون أمر بخروج جميع المعتقلين السياسيين والمفكرين المثقفين والأطباء المختصين والمهندسين، وسيكون الحظ حليفًا للمجرمين سيستنشقون هواء الحرية وتبعث بداخلهم نشوة الإجرام هناك من سيقتل وهناك من يغتصب النساء

وهناك من يسرق الأطفال طمعًا في تجارة أعضائهم، وتجار المخدرات أيضًا سوف يتم بيعها علنًا وليس سرًا الأطفال يشربونها ويهجرون منازلهم، وهناك من يمارس الجنس علنًا وكُل من يمر بجانبهم سيلقوه بعيدًا ويتناوبون طامعون في ذلك الفعل البذيء، لكِ أن تتخيلي الوضع.. مجرد توقع ليس محتمل. سيظهر أيضًا من المفكرين المثقفين سيخرج منهم الإدعاء الحقيقي لما كانوا يقدمونه سابقا يتنافى طرديًا مع أفكارهم الحقيقة التي يخبئونها.. رجال الأعمال الذين أطلق سراحهُم كانت أفعالهم السابقة لأن القضايا المتعلقة بالاختلاس وغسيل الأموال لكسب المزيد وهى قضايا مست الرأي العام، الظلم يا كاترين قادر على السلطة للتحكم في الكادحين الطامعين لكسرة الخبز فقط.

- حديثك يا مروان جعلني أنتفض من هول الوضع وجعلني أفكر أكثر في المستقبل المظلم القريب الذي سوف نتلاقاه عاجلًا أم آجلًا.. وعلينا النجاة بالفعل ولا نستهين بالموقف لكن علينا أيضًا تقديم حلول بسيطة جدا على مواقع التواصل الإجتماعي، نكتب منشورات توعية للمجتمع ليفهم الكثير وحينها سوف نكون قد أنقذنا عدد لا بأس به من الأشخاص..

التوعية، التوعية هى الحل الوحيد يا مروان للخلاص الأبدي.

أنتِ مُحقة يا كاترين.. كما قال ديكارت.

"استعمالُ العقل، يستبعد خطر الجنون"

- جميل أنك تقرأ.

يجب على الفرد يا كاترين أن يكون مُلمًا بكُل شيء.. هى الطريقة الوحيدة للهروب من كل سوء وشر ويكفي أن القراءة تعطينا أملًا للتنفس مُجددًا، وهذا ما يجب على كل فرد أن يفعله ليتفادى المخاطر عند نضوج عقله.. كل شيء نجهله هو بالأحرى شيء نجهله.

– هل لديك أي رؤية أخرى؟

نعم لدي رؤية أخرى.

– إذا.. ما هى؟

تفاقم الوضع سوءًا وتكاد الحيوانات تهرول مُسرعة لتسأل عن الإنسان الذي اختفى فجأة، والذي كان يعاني بها الكلاب تعوي وتعلن من خلال عوائها بطعم من الحرية والعدالة في نفوسهم النقية الطاهرة التي تحمل الود لبعضهم البعض فهى لا تتحمل العيش بدون إنسان لكن للأسف تلك الكلاب والقطط تم الظن بها بالسوء.. لكن الأمر بأن جلسة نطق الحكم.. حكمت المحكمة غيابيًا للمتهم الذى يسمى المجتمع وليس تعميمًا.. زيفٌ حبهم لهم من أجل إثارة الفزع داخل نفوس الحيوانات بحجة أنها تنقل العدوى.

لكن تلك المحكمة أصدرت الحكم غيابيًا أيضًا للمتهمين بإثارة الفتنة الطائفية، تم إيقافها بسبب الكائن الغامض الذي ينتشر بسرعة البرق الخاطف خوفًا على نفوسهم التي تحمل فيض الكراهية.

حكمت المحكمة غيابيًا للمتهم الذى لم يحافظ على سلامة نفوس البشر المُصابين بإعاقة ما، وهم يعتريهم الحب لمن حولهم.. تحكم بهم كائن ضئيل لا يُرى بالعين المجردة، وأوقفوا تلك المهزلة بسببه، ويبقى السؤال:

- من الذى يتسبب في ذلك؟
- هل يجب حدوث كارثة لكى نكُف عن إثارة الفتن وإثارة الذعر داخل النفوس البريئة؟

في الحقيقة أنا لا أمتلك إجابات يا مروان، لكن أود القول بأنه لو حدث هذا سيكشف لنا الكثير والكثير، ويفتح لنا آفاقًا نجهلها.

- نعم يا كاترين وهناك شيء آخر.. دعينا ننظر اليوم بعد أن مر ثلاثة قرون ماضية ننظر لحصيلة اليوم حلم الكادحين هو العدل والحرية وإذا وجدت هذه الحقوق وجدت الراحة والطمأنينة.. لازال الإنسان يأكل أخيه الإنسان باستغلاله واستهلاكه وترويضه ولازلنا ننظر لهم بأمل وشغف أن ينجحوا في تكوين الإنسانية في جميع أنحاء العالم.

لا يعلمون شيئًا عن الإنسانية يا مروان، اهتمامهم الوحيد هو السيطرة بأساليب القهر والذل والعنف والتحكم الاقتصادي والاجتماعي.

- إنهم أصحاب المليارديرات يا كاترين، وتم إهمال المهندس والعالم والطبيب والصيدلي والكيميائي والفيزيائي والآن أصبح لدينا مُجتمعًا هشًا غير قادر على مواجهة مأزق الكورونا.. جميعًا بدون استثناء، الشعبي والحكومي.. والحقيقة نأمل في غد مشرق حيث يسلطون الضوء على هؤلاء أفضل من تسليط الضوء على المسلسلات

والأفلام والبرامج الغير هادفة ليس لها أهمية لست معترضًا على هذا لكن يجب التخلي عن التفاهة في سبيل التوعية، ويزيدون من بناء المستشفيات وبإمكانيات ذات جودة عالية والعلاج المجاني للكادحين الذين دائمًا يقعون في فخ الرأسمالية الظالمة التي تحمل فيضًا من مشاعر الاستحقار واللامبالاة لمن يعاني من ظلمهم وعدم التماس العذر لهم حين يمرضون بل يلقون حتفهم دون أدنى رحمة وأدنى إحساس بالمسؤولية تجاه هؤلاء البؤساء.. يجب تصحيح المفاهيم الخاطئة التي تُسبب الكوارث، العواقب وخيمة على هؤلاء الكادحين.

- هل المثقف العربي له دور يا مروان؟

بالطبع يا كاترين المثقف الحقيقي له دور ودور هام في التوعية الصحية والنفسية والاجتماعية والثقافية وأيضًا الاقتصادية لأنه يكون مُلمًا بكل ما حوله كأنه يريد إشباع عقله الذي لم يكُف عن الشراهة، لكن هناك فئة أخرى وهم المثقفون المدعون وتتنافى أفكارهم الحقيقية فيما يقدمونهُ ويلعنون أمريكا ويتمنون زوالها وهم الأكثر فئة التي لديهم مشاكل نفسية، أمريكا وصلت لحالة الذُروة المثقف العربي الذي يحلم بالديمقراطية والحرية ويُريد أن يحارب الفقر يشيد بأنظمة قمعية تستغل فقر مواطنيها للعمالة الرخيصة ولا تتورع عن الزج بهم في السجون حين يخالفون رأي الحكام.. الديمقراطية الاشتراكية ليست رومانسية وحالمة بل أشد شراسة في رأسماليتها.

صمت مروان ونظر إلى كاترين باستحياء تفكر وتُطيل التفكير وكأنها فقدت وعيها.. كاترين، كاترين

- مروان، قمة الوقاحة في استغلال بشاعة الموقف.. أساؤوا معاملتك كثيرًا أليس كذلك!

لقد فعلوا وكل شيء بالنسبة لهم متاح لأقصى درجة، دمي يغلي لهيبًا وسينفجر في وجوههُم.. كما قال "ديكارت" أيضًا.. " الفضيلةُ ليست استعدادًا طبيعيًا، وليست وظيفة ذهنية تعمل بشكلٍ تلقائي.. الفضيلةُ، جُهدُ الإرادة الإنسانية الواعية " وهذا هوالإنفجار الذي أتحدث عنه.

أنت مُحق يا مروان.. لكن..

قاطع حديثهُما سيارات الشرطة والجيش وتتعالى صرخاتهُم وكأن هناك حربًا ستقام قريبًا قائلين: على الجميع التوجه إلى منازلهم في أقرب وقت وظلوا يكررون الجملة كثيرًا حتى جميع الأشخاص على المقاهي والمطاعم وفي الطرقات يهرولون مُسرعين دون فهم إلى بيوتهم وعلامات وجوههم تبين حالة من الذعر والهلع.. صاح مروان قائلًا: تبًا.. ما الذي يحدث؟

ها نحن يا كاترين قد وصلنا مرحلة الذروة.. وسوف تحدث توقعاتي.

- لا تقل هذا لن يُصيبنا مكروه.

بل سيُصيبنا مكروه، الأمر أصبح واضحًا الآن كوضوح الشمس.. لنتجه إلى منازلنا ونلتزم به حتى إشعار آخر، ونشاهد التلفاز ونتابع الأخبار لحظة

بلحظة ويجب علينا تغطية مواقع التواصل الاجتماعي بالوعي، الوعي يا كاترين.. أمي تتصل الآن يجب علي الرد في الحال.

مرحبا أمي.. أنا قادم الآن في طريقي إليكِ، لا تقلقي لن يُصيبني شيء.

فلتأتي بسرعة كبيرة، لأن سيارات الشرطة في كل مكان يعلنون صائحين الأمر في حالة الخطورة وعلى الجميع عدم مغادرة المنزل، ويتضح بأننا سندخل في حقبة زمنية لا نعلم عنها شيء.. أسرع يا بُني، أسرع.

قادم في الحال، يا أمي.

كاترين من الجميل أننا لسنا مبتعدين عن منازلنا، سأقوم بتوصيلك وبعدها سأذهب.

حسنًا، لا بأس.. لنتواصل لاحقًا.

وصل كلاهما وودعوا بعضهم البعض، وتصافحا

– مَن الطارق؟

مروان يا أمي أدخليني في الحال.

– لماذا تبكي يا بُني؟

شديد التخُيل مِن الآن، حين أصل إلى الثلاثين مِن عُمري إن وصلت، سأكون شخصًا غريب الأطوار.. كأنه لم يولد قط.. لم يصمُد كثيرًا مثل الآن.. شخص لا يُبالي كما الآن.. لا يهتم.. لايزال على قيد الحياة مُجرد إنسان آلي.. لكن يبتسم للأطفال ولذوي الاحتياجات الخاصة يُحب اللعب معهُم.. لا يُبالي بقراءة الكتب الفلسفية.. يجلس في المقهى طوال

اليوم وبيداه جريدة ما، ليتصفح الأخبار اليومية المعروفة عن مقتل أحدهم.. عن خيانة رجل لزوجته.. ثم يُصيبه هستيريا من الضحك.. لأنه لايزال يمتلك حبيبة أو زوجة.. ثم يقرأ خبر صادم عن انتحار مواطن شنق نفسه والسبب أنه كان يفكر بالمستقبل، اصطدم بأنه مُخيف، مُخيف جدا.. ولأنه كان لديه ملامح يضعها لنفسه ولم تتحقق.. واصطدم بخبر صاعق.. أنه هو ذاك الشخص المُنتحر.

- لا تجعلني أبكي يا بُني.. أعلم أن الوضع في غاية الصعوبة بعد موت أبيك، ولازالت روحك متعلقة به.. لكن كلُ مُر سَيمُر.

يا أمي، هناك ابتسامة ظاهرة خلفها دموع مأساوية، تُعبِر عن سوداويتي مِن الداخل.

أنصت يا بُني.. حين ينقلب العالم رأسًا على عقب بخيالك تتغلب عليه حينها ستكون حاملًا دماء الأبطال في عروقك.

الشيء الوحيد الذي يجعلني صامدًا، هو أنتِ يا أمي.. دعينا نشاهد الأخبار حول العالم.

ارتفع عدد المصابين في جميع الدول الأوربية المتقدمة ونحن يجب علينا أن نحترس من القادم من الغول الذي يتجول ويتحول في لمحة بصر يخترق كُل شيء يلتهم ولن يكُف عن الالتهام وعليكم الالتزام والإنصات جيدًا للتعليمات والدعم الذي ستتحدث عنه وزيرة الصحة بعد قليل.

حتمًا سنسحق يا أمي، إذا اجتاح ذاك الضئيل بيننا وهوالخطر الوحيد والحقيقة البشعة أشعُر بالغثيان.

هدئ من روعك يا بُني، لننصِت إلى الخطاب.

- أؤكد أنا الدكتورة هالة زايد وزيرة الصحة والسكان أن الحكومة المصرية اتخذت إجراءات وقائية واحترازية مشددة للتصدي لانتشار فيروس كورونا المستجد والكشف عن القادمين من الخارج إلى مصر، وأن النظام الصحي في مصر قوي ومستعدون لكافة السيناريوهات المحتملة وتم التدريب عليها فيجب الالتزام بلوائح منظمة الصحة العالمية التي تتضمن كافة البيانات عن سلامتكم وأن سبب زيارتي للصين بهدف تبادل الخبرات والبيانات مع سلطات الصحة في الصين إلى أن الصين قدمت هدايا قيمة جدًا لمصر عبارة عن الوثائق الفنية المحدثة للإجراءات الاحترازية التي اتخذتها الصين لمواجهة الفيروس والتقرير المشترك لخبراء منظمة الصحة العالمية والخبراء الصينيين حول الزيارة التفقدية الأخيرة التى قام به وفد الخبراء إلى مناطق عديدة في الصين.. وأن هذه الهدايا ستفيد في الإجراءات الاحترازية للسيطرة على المرض.. أتمنى صحة جيدة للجميع.

- ما رأيك الآن يا بُني؟

مللت العنب المُعتق.. أُريد حليب أمي، عناق أبي.. عشريني فقدت شهيتى.. دهشتى.. واعترانى صمتى.. لقد كفرت بالمشاعر يا الله.. لا نصلُح للحُب.. ها قد بدأ الكدر مِن هنا يختلف.. عنصر مرفوض منطوي لا يأتلف.. وعلى الرغم من مللى مِن احتساء العنب المُعتق.. نخبك يا

عالم.. نخب كُل ما هو رحيم.. نخب سموالأميرة.. يُجيدون الكذب في إبريل، في حين كذبهُم في الشهور الأخرى دون البوح به.. نخب الهُدنة التي تعتري عقلى.. أشعُر وكأن هناك شخصان داخلي.. عربات حرب تسعى لحذف الراء.. كيف نحن أحياء نذرف الدمع، والأموات يذرفون الورود؟

أعتذر حقًا، لأنني لم أفلح في تقديم نخبٍ لنفسي.

– أنت تُصر أن تجعلني أبكي، نحن بخير لا تقلق.

يا أمي.. لقد حاولت التجاهُل بكُل الطُرُق.. لكن، اُصيبَ قلبى بطعنة الاهتمام..

أتدرين يا أمي، العالم هذا غريب للغاية وبارع في الادعاء.

– قُلت لك منذ عدة أيام، التفكير خطر عليك.

وأنا يا أمي، لن أكون عبدًا مُكبلًا ينتظر فك الأغلال الفولاذية من قدميه ليتحرر "العبد إذا تحرر فَجَر"

يا أمي.. بداخلي انتفاضة وثورة وحُطام، أشياء كثيرة من حولي قد تبدو حزينة أم سعيدة، لا أدري!

– لا أريد أن يتحكم بك الحزن؟

أمي، طالما الشر يتواجد لن يكُف الحزن والاكتئاب في مضاجعتي، لأن.. الشر يحكم، الشر أسهل اعتناقًا، الشر ملاذًا، الشر هو مَن يبتسم دائمًا.

– لكن يا بُني.. الخيبات فقط التي نتلقاها، نفس فكرة "كثرة تناول شيء مُحلى يصبح نوعًا ما مُقرف ".

يا لك مِن أحمق، ظَلَ يبحث عن ما يثير سعادتهُ، فوجد سعادتهُ في تِلّكَ الأشياء التي تُفيض بالبُكاء، حينَ يُشعِرها بالسعادة.

السعادة معجزة.. حدثت المعجزات قديمًا فتوقفت مؤشرات الزمن حينها، لن تدور مُجددًا.

– أنت تُعزل نفسك يا بُني، وهذا خطر عليك.

العُزلة تُلملم شتات أفكاري لكنها تُحزنني، وإذا ذهبت إلى صديق كفيل بأن يحطم أفكار يوم كامل، أفقد الذكاء حينها والقدرة على الحديث، قال "كافكا"

"العُزلة طريقة للتعرف على أنفسنا".

– دعك من التُرهات هذه.

العُزلة يا أمي نحتاجها لأنها كمحطة تهدأ الروح بها، يُعيد الإنسان ذاته ويسعى للقادم بذهن صافي ليكون أقوى تركيزًا.

– عجبًا أصبحت فيلسوفًا، مثل تُرهاتك التي تقرأها.

سأذهب إلى النوم يا أمي.

الفصل الرابع

" مدينة المُذنبين "

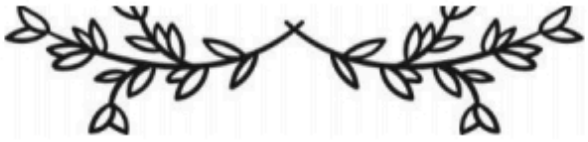

الوحش البشع يقف أسفل شُرفتي يا حواء حاملًا يقطينة وينظُر إلي بطريقة مُريبة ويرفع يداه إلى أعلى ويخفضها إلى أسفل كأنه يُريد أن يسقطها أرضًا لتنفجر تلك اليقطينة، ولأنه معروف بالخبث يا حواء حتمًا هناك أمر غريب ينوي فعله، وضع اليقطينة على الأرض وفجأة ضرب بقبضة يداه ضربة واحدة حتى انفجرت وخرج منها غُبار كثيف ممزوج بصراخ غير منتظم، ثم هدوء مفاجئ وبعدها ضحك بهستيرية، فلتأتي يا حواء انظري.. ماذا يفعل؟

– ما الذي يفعله يا آدم؟

إنه يقفز ويضحك يقفز ويصرخ، أظن أنه حرر أعوانه من تلك اليقطينة حين قام بتفجيرها، وبعد ما أفرغت ما بداخلها تحولت إلى مُزمار يعزف عليه بطريقة ساخرة

لكن عليك أن تعلمي أن الصادقين المخلصين الذين لا يعرفون معنى الزيف، هُم دائمًا ينزفون.

– لكن يا آدم، خائفة لدرجة أني لا أستطيع فعل الخير بحكم تغطية الشر عليه.

صحيح أن الظلام والشر يحتوي عالمنا، قادر على ابتلاع ضوء الخير قد نكون الظلام الذي سوف يبتلع ضوء الجهل، علينا التجديف بسفينة الضوء، لأن الحقيقة غرقت في كيان مُزيف.

– لكن تلك الحياة لعبة لعينة.

إن استسلمنا لها سوف تُصيبنا لعناتها، وتطرحنا أرضًا، فيكفينا شرف المُحاولة.

- يا آدم، لا أرى سوى سمفونية الألم، تُصيح بأصوات خافتة داخل رأسي.

احذري مِن تُرهات مَن يدعي المنطق، ولا نتماشى مع سيئاته، نتقبل بما أتينا من ذنوب الآخرين، لكن لا نتوقف بل ننشر تفاصيل المأساة بطريقة أخرى حتمًا سيفلح الصدق، وعرض قسوة الحقيقة.

- هل الحقيقة قسوة؟

قسوة لمعظم الآخرين، لذلك يلجؤون دائمًا إلى تُرهات الكذب.

- قد علمت الآن يا آدم، بأن هُنا تُسلب منا إرادتنا، هُنا في عالمنا، يوجد به الكثير من الاختلافات، في نفس المكان نتبادل أطراف نزواتنا ونتبادل قُبلاتنا الصادقة، ويفهمون بالشكل الخاطئ.

هُنا يا حواء.. إدْماءٌ القلب بالأحزان، بل اشتد وطأته بالأحزان.

- وهذا دليل على أننا نعيش في عالم وهو يعيش في عالم آخر، ويجمعنا عالم ثالث.. سُحقًا.

الحُب ذهب ولن يعود يا حواء، لنذهب إلى القاضى الذي يحمل العدالة، ربما نجد ما نبحث عنه.

- دعنا نذهب إليه.

أيها القاضي.. أين عُمق معنى العدالة؟

– العدالة يا آدم كفتين متساويتين، العدالة كإدراكك للحُب.

للمرة الثانية.. أين عُمق المعنى؟

– هى محددات المجتمع المتحضر.

لقد أبهرتني بإجابتك أيها القاضي، أنت تضع ميزان العدل أمامك ولا تعرف شيئا عن العدالة، كرأسمالي يستخدم الحُب المزيف لكسب المال.

– أنت تتهمني ولن أسمح لك.

العدالة يا سيادة القاضي، نظام اجتماعي يهدف إلى إزالة الفوارق الاقتصادية بين طبقات المجتمع تتمثل في إعادة الدخل القومي وتكافؤ الفرص.

– أُغرُب عن وجهي، بدلًا من أضعك داخل قفص المتهمين.. أصمُت عليك اللعنة يا متهم.

دعنا نذهب يا آدم، لا أحد يدري ما ندافع عنه الجميع هُنا مُغيب، وهو من أعوان ذاك اللعين.

هيا يا حواء، لنمكُث وحدنا..

– أرأيت يا آدم، قُلت لك سأنتصر، أقصد يا مروان.

استيقظت والدته فزعًا على صوت ابنها يقول: لماذا تُناديني مروان؟

أفِق يا بُني أفِق.. تبًا لذلك الكابوس الذي يُقلق نومك.

– هُناك رسالة ما أجهلها يا أمي، رسالة غريبة ولا أدري.. ما العمل؟

أبعد يداك عن رأسك عروقك بارزة على جبينك، من أجلي اهدأ.. قُلت اهدأ.. اروي ظمأك.

– لا بأس، أنا بخير.. هاتفي يرن.. إنه صديق قديم سامح، لكن.. ماذا يُريد؟

أجب يا بُني، أجب.. المسامحة شيء وجب علينا أن نحمله داخلنا.

– لقد أخطأ في حقي يا أمي، أمام الجميع.

يمكن أن يكون هناك شيء هام، يُريد التحدث إليك بخصوصه، مَن يدري.

– حسنًا يا أمي.. مرحبا.. ماذا تُريد يا سامح؟

أريد منك أن تسامحني مما اقترفت من خطأ في حقك، أنا نادم.. هل يُمكنك مُسامحتي؟

سامحتك يا سامح، سامحتك، لكن علاقتنا لن تكون مثل السابق، كُل شيء سيكون على ما يرام لكن من بعيد.. مع السلامة.

جيد هكذا يا بُني، لقد شعر بخطئه وبادر وطلب منك مسامحته، لأن الاعتراف بالخطأ هو بداية النُضج.

عانقت الجميع دون استثناء يا أمي، تم طعني بجدارة، لكن.. لا بأس.

– كيف اكتشفت أنهم تخلوا عنك أو أي شيء سئ فعلوه؟

قُمت بشراء زجاجة خمر وأفرغت محتواها الأصلي وملأتها بالماء وتظاهرت بالسُكر، تظاهرت بالترنح يمينًا ويسارًا.. هم يعتقدون أنني مغيب بفعل الخمر، لكن لا يدرون إنه ليس بها شيء سوى الماء.. طرحت

نفسي أرضًا ثم تعالت الضحكات بهستيريا من حولي.. تظاهرت فقط لأعلم نواياهُم.. يريدون ضربي يا أمي.. معتقدون بأن الخمر في حلقي يبدع بحرقي.. لم أجد سوى العداوة والبغضاء واستمر الدعس بجدارة.. وقالوا بصوت مرتفع.. أنظروا جيدًا يا سادة هذا هو صديقنا المخمور أمام المارة.. لم يحتفظوا بروحي يا أمي واحتفظوا بجسد بائس تتحكم به الخمر بنظرتهم.

- وماذا بعد يا بُني؟

بصوت غاضب جدًا "كفاكم تظاهرًا بالحب.. تم فضح حقيقة أمركم يا أصدقاء عفوًا يا حثالة الاختيار.. لقد قمت بخداعكم لأعلم حقيقتكم ولا أحد منكم حمل لي شيئًا جيدًا، على الرغم من حملي لكم الحُب فكنت ملجأ لكم وعرينكم.. كنت أريد معرفة ما تحملون لي والآن قد علمت جيدًا.. هذا كل ما حدث بالضبط يا أمي.. لا أدري إلى.. متى؟ اكتشف نوايا سيئة.. حتى بالكابوس أيضًا كنت أكتشف به سوء الآخرين.

- لا بأس يا بُني، عليك التسامح فحسب، جميعنا نعلم أننا في مدينة المُذنبين حيث كُل شيء أصبح مألوفًا، الوجوه أصبحت متشابهة واستخدامهم المُعلن للشر، لكن عليك أن تعلم يا بُني، ابتعد عن الشر ولا تفكر به كثيرًا، اجعل نقاءك يسود، ستكتسب قوة إيجابية تُريحك في يوم ما.

يا أمي.. المدينة مهجورة وكأننا مُذنبين، اشتدت وطأة الألم وشعرت أنني فعلت شيئا أستحق عليه العقاب، وأتعمد أن أترُك المدينة، التي لن يتعظ بها أحد.

- أنصت جيدًا لي.. الابتعاد والتمرد على الشرور هو قمة التصالُح مع الذات، مع نشر الحُب والإيجابية في نفوس من يحتاجون إليه.

يا أمي، أتظنين أن هناك أمل!

- بالطبع يا بُني، بكُل تأكيد.

لكن المشوهون أنهوا حياة الملائكة، ويكاد أن يموت الجميع، بأفعالهم والركض والبطش نحو الشيء المُسمى بالقوة كما يعتقدون، الشر ليس دليل على القوة، والخير ليس دليل على الضعف وكذلك النقاء، البشر من أجل المال قتلوا البراءة.

- يا بُني قال: كونفوشيوس

"أعظم مجد لنا ليس في عدم السقوط أبدا إنما في النهوض كل مرة نسقط فيها"

يا أمي هل ستتجادل هكذا كثيرًا؟

هاهاها.. قال: نيتشه

"الوعي لا يعذب إلا ذوي الضمائر الحية".

- حتمًا سأتغلب عليك يا مروان..

هاهاها قال: ريتشارد ديدكايند

"على هذا الكوكب، يجب أن تستعمل كل ذكائك لتعيش، وكل غبائك لتتعايش".

انظر على المارة بالأسفل يعيشون حياتهم اليومية بطبيعة هناك من يركض وراء أحد وهناك من يتسكع وحيدًا وهناك من يفتعل المشاكل.

- من يركض اختار أن يكون سعيدًا بالركض.. ومن يتسكع وجد راحته في إفراغ الطاقة السلبية من عقله التي جعلته مشوشًا.. ومن يفتعل المشاكل وجد راحته في ساديته وليس بالأحرى السادية المعروفة التي في أذهاننا بل كُل ما هو مؤذي سادي.

أفهم من ذلك يا أمي، أن علي التعامل بكل ما يُريح الضمير فقط كهؤلاء الذين ذكرتيهم.

- نعم يا بني.. لكن علينا أن نختار الوقت الصحيح وبناء مفاهيم جديدة أنقى من القديمة ونكسوها بملاذ النضج والنصح معًا.

فهمت أن التفسير لشيء نخشاه بطريقة مختلفة

ستنساه إذا كُنت تفكر به كثيرًا، ولن تكن فريسة له مرة أخرى، أتدري بأن شلل النوم الجميل اعتدت على احتضانه لي، لقد تمكن من أن يُشعرني بالأمان والطمأنينة والهدوء

أثناء نوم أصابه الأرق، ولن أستعيذ به من شر الفلق.

- ها أنت قد فهمت الآن وأدركت أن تستغل فرصة شلل النوم بتفكير إيجابي، لكن لا يوجد شر من الفلق لأن الفلق هو الصباح حيث الأمل والحياة.

البعض هنا يعبُد الأقوى.. وليس حُبًا لا، بل رهبة ورعبًا.. الإجبار على الاحترام ليس احترامًا يا أمي.. الإجبار على الشيء في العموم ليس إلا وقاحة وافتراء على الأضعف.. أختلف مع عبارة البقاء للأقوى، لأن البقاء الحقيقي هو للأنقى والأطهر للأكثر استجابة للتطوير.

- وسرعان ما توجهت الأم إلى الشرفة هى وابنها مروان على صليل الصوارم الذي انفجر فجأة وكأن هناك مبارزة ما، تُقام أسفل المنزل، يهرول المارة مِن هول الصدمة يهابون على أنفسهم أيضًا وصراخ دائم مُستفز إراقة الدماء جريمة إنسانية لا تُغتَفر.

عن صرخة قهر، أم لابن يتيم الأب لا تتمكن من فعل شيء غير الصراخ طامعة في أحد ينقد ابنها من الضرب المُبرح، يكفي كسرتها حين رأت دماءه على الأرض، لا أحد يطمع في إنقاذ حياته من يد ذاك الوحش وأعوانه، يضربونه بقسوة ولا تلين قلوبهم أبدًا، ينزعون عن الملائكة الريش حتى أصبحوا عرايا ولا أقصد عرايا الجسد بل أكثر عرضة للاستغلال وعدم الاستقرار النفسي، بل الأكثر عرضة للقتل أيضًا، أود انتشاله من بين أيديهم يا أمي.

- ليس من تخصصنا يا بُني، لا تفعل هذا.. يجب علينا عدم الالتفات لبعض من الأشياء التي تحدث من حولنا لنتفادى شرهُم من

الاعتداءات على خصوصيات المرأة والتربص والأذى العمد ولا تلتفت إلى من يظهر حبه لك بطريقة مُفرطة.

أمي.. لقد مللت الزيف حقًا.

- هاتفك يدق يا بُني، انظر من المُتصل.

إنها تالا يا أمي، كم أنا سعيد الآن هي بمصر على الرغم من الجائحة هذه قامت بالرجوع مُجددًا..

مرحبا.. تالا جميل أنك تذكرتيني.. ما الأخبار؟ وهل أصابك مكروه أثناء نداء عملك؟

- أنا لست بخير يا مروان.. رجعت من رحلة العمل هذه إلى مصر خلال اليومين السابقين، وقام أحد الجهاديين في مترو الأنفاق وكان مزدحمًا للغاية وقام باحتضاني عمدًا.

لكن.. كيف علمتِ أنه من الجهاديين؟

- هيئته يا مروان، هيئته تدُل على ذلك، وظل في المترو يقوم بالدعاء على من يختلف عنه في الفكر والمعتقد، بصوت مرتفع جدا بدون أن يكترث لأحد بعد أن قام باحتضاني ظل مستمر في الدعاء لأجل إزالة الدول الأوربية جميعًا لأن تلك الدول في نظره من الدول الكافرة كما يزعمون.. وبعد أن أقدمت على النزول للذهاب إلى البيت.. ذهبت أولًا لإجراء التحاليل اللازمة وتم العثور على إيجابية الإصابة بالفيروس.

تالا.. أظنه حقن نفسه بالفيروس لكي يقوم بالجهاد في سبيل الله.. كما كانوا يفعلون عن طريق الحزام الناسف لكي يحظوا بالجنة.. تبًا.. الشماتة في الموت وقاحة والاختلاف في الفكر أو الدين ليس دليلًا على تطرفهم، ذاك الفعل الذي فعله بكِ هوالأكثر تطرفًا، الدعاء المستمر بطريقة مريبة على زوالهم.. ألم يضعوا أنفسهم أماكنهم! ألا يدركون أن هناك مصريين ومن مختلف جميع الدول العربية، ومسلمين ومن جميع الأديان والمذاهب ومختلف الأفكار، لكن في الأول والآخر والظاهر والباطن هناك أرواح تموت ومنهم أطفال ومن ضمنهم أطفال فقدوا الأهالي ويعيشون حالة من الذعر خوفًا من مجهول ظهر فجأة.

- وأيضًا يا مروان، من المحتمل أن يحدث لنا نفس الأمر.. ألا يدركون هذا؟

الشماتة في العموم يا تالا سواء في موت أو مرض لمجرد الاختلاف حتى لو أننا أقل الدول المصابة بالفيروس

مع استمرار تواجد الحالات من المحتمل أن تحدث كارثة.

- ما العمل؟

العمل هو التطهير الذاتي لنفوسهم التي تحمل الضغينة يجب التخلي عن كراهيتهُم للمختلف، الله لم يقل أن نقوم بالدعاء على أحد وعليهم التقبُل أنهم ليسوا الوحيدين على ذلك الكوكب بل هناك ثقافات ومعتقدات وأفكار جديدة.

- يا بُني.. ماذا بك؟ لماذا تتقيأ هكذا؟

اتقيأ والأمر يُربكنى.. أحتاج إليك.. حُبًا جديدًا في زمن الأوبئة.. أعماقي تعتصر هلعًا من احتضانها، وأريد أن أرقد في سلام، تزايد أعداد المصابين أضعافًا أضعاف.. هل الطبيعة تنظف نفسها من الدنس؟

- بُني.. سيكون بخير من يستحق البقاء، نحن نشهد جميعًا تغير جذري الآن البقاء ليس للأقوى ولا الأذكى، بل الأنقى والأطهر.

أمي.. هل تعتقدين بأنها حرب بيولوجية؟

- إن كانت كذلك ها قد انقلب العالم رأسًا على عقب والعالم أجمع سينقلب على الفاعل إذا لم يكن مصابًا بالفعل.. نحتاج إلى الصبر والسلوان والكثير من الاجتهاد الذاتي المصاحب بالتعاون سويًا.. الآن لا مكان للكراهية ولا للحقد ذرة بيننا

صحيح يا أمي.. الطبيعة تعلن التطهير لا تفرق بين عرق ودين ولا بالبشرة البيضاء والسوداء.. الكل سواسية الآن.. ذاك الهُراء قد انتهى.

- الأمر أصبح أكبر من طاقة البشر.. الطبيعة تنتقم ويومًا ما سيكون كل شيء على ما يرام.. تفائل فحسب.

حسنًا.. سأدخل غرفتي قليلًا..

يحدث نفسه قائلًا: الكلاب تنبح في ذلك الوقت بعد أن تم الإعلان عن الحظر.. "الكلاب تُعلن تمرُدها في الليل، على اختفاء البشر".

- مروان هاتفك يرن، فلتأتي للإجابة عليه.

حسنًا يا أمي.. إنه صديق قديم لي من ضمن الأصدقاء الذين تركوني.. لماذا يريدون الاطمئنان الآن؟

– أجب فحسب.. مرحبا.. ماذا تُريد يا محمود؟

أريدك أن تسامحني لِما اقترفته في حقك.

– لا بأس لكن لا أود منك الإشارة إليّ مرة أخرى فلم يعُد بمقدوري أن أكون كالسابق.

الهام في الموضوع مسامحتك لي، لكن صوتك يبدو، لا أدري.. غريب الأطوار بعض الشيء.

– أستحق هذا وبجدارة.

مروان، لا تكترث لأي شيء إطلاقًا.

– نحن نسير نحوالانقراض وتقول لي أن لا أكترث.

إذا، اجلس مكانك لنشر الإيجابية والتفاؤل والأمل، وهذا الشيء الذي تفلح فيه دائمًا.. لن تتغير.

– أفضل من دفن رأسي كالنعام مثلك، نظرتك لي صحيحة أستحق اللقب بجدارة يا محمود.

أنت ستظل هكذا وسيأتي الوقت أن تدفن رأسك مثلي.

– لا لا لا.. لن أفعل ذلك لأن من أعطاني الأمل هم الذين يبكون قهرًا ولازالوا صامدين أمام ضربات الجزاء التي تقدمها لهم الحياة.

أنت أحمق.

- أستحق هذا، لأنني أحب كراهية الآخرين لي وأصنع منها قلادة للحب.. تصحبك السلامة يا محمود.

الفصل الخامس

" مكتب النفايات "

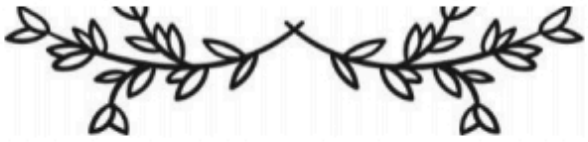

أعجز عن تفسير أنكم بشر، تفسدون كل مخطط أقوم به، أنتم ضعاف النفوس تستسلمون بسرعة وعاجز عن تصديق أن هناك أُناس لا يستسلمون ولكن سوف تُعلنون الراية البيضاء عما قريب..

- أيها اللعين احذر جيدًا، أي فعل ستفعله ضدنا سينقلب عليك آن أوان تحقيق مرادنا نحن البشر سنحقق جنة الخلد على الأرض ولن يكون لك مكان بيننا ستحتضر أنت وأعوانك ولن يكون هناك ذرة من ذرات نفسك المريضة معنا.. هنيئًا لك بموت محتوم سوف تعجز كُليًا وسيُصاب تفكيرك بالشلل ونتيجته بالسلب عليك.. حواء عليكِ النزول حالًا ها هى الملحمة الكبرى قد أثبتت وجودها بفعل عوامل النقاء أمام عوامل الخطورة.. سوف نرى مَن سيعلن رفع الراية البيضاء.

آدم، أنا أحبك وممتن لوجودك هذا.

- اخرس أيها الأحمق.. لم يعُد هناك شيء بمقدوره العبث بمشاعري مرة ثانية، شتت انتباهي كثيرًا وكادت أن تتفاقم داخلي مشاعرك السلبية التي سعيت لزرعها بي، لكن عليك أن تعلم أنني أرض بور لا تُنبِت سوى الخير والسعادة للجميع، عرينك الذي عرضت علي الدخول إليه لكي أمكُث به يُشبه أمثالك.. عريني هوالاطمئنان ذاته.. مكب النفايات الذي تعيش به لم يعُد في صالحنا بعد.

آدم، احذر أنت وحواء من المعاداة التي تحملانها لي.

- أنت يا حشرة، مَن بدأت بذلك ما سوف يحدث لا يستوعبه عقلك أو عقل بشري.

حسنًا، عليك الحذر يا مروان أقصد يا آدم.. أنتِ أيضًا يا تالا أقصد يا حواء.

- الصداع النصفي مرة أخرى.. تبًا لك.. ابتعد عن رأسي.

يا بُني استيقظ مَن يمتلكون الغاية النبيلة، دائمًا يتألمون.

- أكاد أن أنطفئ يا أمي.

هناك زار سيُقام اليوم علينا الذهاب له في شارع المُعز لدين الله الفاطمي، أمام مسجد الأقمر تحديدًا.. في تمام الساعة السابعة لم يتبق الكثير من الوقت.

- أتصدقين تلك الخُزعبلات يا أمي، إنها مجرد شيء لا يمت المنطق بصلة، لكن حسنًا سأذهب، لنُغير ملابسنا.

في تمام السابعة مساءً وتفاجأ مروان بالعرض

حيث شعر بنشوة غريبة بداخله، حين نظر إلى الفتاة في منتصف التجمع.. يُحدث نفسه قائلًا: تبًا..

قاطعه صوت أمه قائلة: ما هذه الدهشة يا بُني؟

- أعلنت كفرها بالدين، واستمتاعها بالزار.. لكن راقني الأمر.. تعالت أصوات الطبول ممزوجة مع رقصات.. مراسم تُعبر عن شيء أجهله يا أمي.

انظر يا بُني.. هذا الشخص يلقبونه بمولانا.

– ما هذا الجلباب الذي يرتديه؟

لونه أبيض يا أمي، عليه بعض النقوش والرسومات الغير مفهومة، أمي.. أين أنتِ؟

توقف مولانا أمامي حين لاحظ أنني أتأمل في النقوش.

لا تنظر إلي هكذا.. النقوش والرسومات التي تراها هذه تريح النفوس والأعصاب.. أتريد أن ترتاح أم لا؟

– حتمًا، أريد يا مولانا.

حسنًا عليك بالدخول، في أجواء الحفل، سوف تحظى روحك بالزهد، لكن ستشعر بالتعالي أيضًا.. عليك أن تتذكر أنه زهد، ولا تكن متعاليًا.. ستختار بين الكفر والإيمان.. وهذا سوف تحدده روحك إذا كانت زاهدة أم متعالية.

– لقد فهمت يا مولانا، أتمنى أن أفرق بينهم.

تذكر.. هناك خيط رفيع يشفع.. عليك الدخول في الأجواء الآن، وتجنب حب أي فتاة من هنا، لكي لا تقوم بإفساد كل شيء.

– وأنت يا مولانا.. ماذا ستفعل؟

سأدخل لكن بعد قليل، علي إنهاء بعض المراسم في غرفتي أولًا.

– حسنًا.. حدث مروان نفسه قائلًا: لن أدخل أجواء الحفل وسأراقب مولانا.. تسكع ورائه دون أن يشعر بأن أحدًا يتبعه، لاحظ مروان دخوله إلى بيت ذات طابق واحد فقط لا أكثر، ثم نظر من فتحات

الشُرفة المتفرقة، محتضنًا الفتاة التي أعلنت استمتاعها بالزار.. صاح بأعلى صوته قائلًا:

"مولانا يعشق في الخفاء، ويجهر بحرمانية الحب".

صاحت والدته قائلة: يكفي هذا يا بُني، لقد قمت بإفساد كل شيء.

– "العقل مجرة يا أمي، ليس لها علاقة بأفلاكنا".

لا جدال هنا، دعنا نذهب.

– لا يا أمي، اذهبي أنتِ وسوف أكون في المنزل بعد ساعتين من الآن.

حسنًا يا بُني.. لا تتأخر.

– أسير وحدي ولا أعلم أين سأذهب.. دون ملل، ويبقى السؤال.. لماذا دائمًا وحدي؟ أفكر وحدي ولا أتبع من هلكه الجهل وعدم التماس النضج.. لماذا لا يغزوني سرطان جهلكم الشافي؟ دفتر مذكراتي لا يُفارقني إطلاقًا.. أصبح القلم مثل العدم تمامًا، فهو صديقي الوحيد ومؤنس الوحدة، لم أتلق منه خذلان كما فعلوا.. تلقيت للتو خذلان أمي.. حين يصنعون مِن مولانا إلهًا يلجؤون له توقفت عقولهم عن التفكير وتحتاج إلى دُعامات لتُجدد الخلايا الدماغية لقد توقف زمن المعجزات، المعجزة الكُبرى التي نشهدها الآن هوالعقل كُنت أريد أن أكون من الأشخاص الذين يُريحون بالهم، شارد الذهن والبال.. فكيف لهؤلاء يعلقون ملابسهم على المِشجب؟

اقبلي اعتذاري عن ذلك الاصطدام بكِ.

بل أنا مَن علي واجب الاعتذار، لم أكترث لك ولم ألمحك.. اقبل اعتذاري.

– كلانا مُشتتين تائهين.. ما اسمك إذا؟

أمنية، وأنت.

– اسمي مروان، وأحبذ مُناداتي بالبائس.

هاهاها.. إذا أيها البائس.. لِما كل هذا البؤس؟!

– بشأن العدالة الاجتماعية والمساواة لقد تذوقت خذلانهم على مائدة مستديرة يتقاسمون على تقطيعه أرباع.

لكن.. لماذا تُفرط في شرب السجائر؟

– أشعل سجائري واحدة تلوالأخرى، على أمل أن ينطفئ الضجيج.. لماذا تنظرين هكذا إلى السيجارة؟

مُتعجبة منك.. ما الذي تشعُر به لتلجأ لشيء يحترق؟

– لتُهدئ ما تبقى مني.

صاحت في وجهه قائلة: إنها قاتلة تأكل في نفسها فقط وتقتلك.. الاحتراق لا ينطفئ بالاحتراق.

– أعلم يا أمنية، إنها تزداد اشتعالًا على أوتار حُزن واكتئاب دفين.. أتدرين!! بعد منتصف الليل لكِ أن تتخيلي.. أربع جدران غرفة بائسة، داخلها شخص واحد يشاهد جميع زواياها، يتأمل خيوط

العنكبوت بشغف ويدقق في تفاصيل تحركاته.. وكيف يصنع بيته العنكبوتي؟

أهذا الشخص أنت يا مروان!!

- نعم أنا.. حين لاحظت عين العنكبوت تدمع أوتلمع فلم أعُد أفرق بين الدمع واللمعان.. خُيل لي بأن العنكبوت يُحدثني قائلًا: أترقبك منذ زمن بعيد أيها البشري، رأيت ضعفك وقوتك حزنك وسعادتك وبكاءك حين تضرب رأسك في الحائط، لكن أنت وحيد جدًا لدرجة أن الصمت استفزك.

وماذا بعد يا مروان؟

- خُيل لي أيضًا أنني أقوم بالرد عليه قائلًا: أيها العنكبوت، الحقيقة المطلقة التي أعلمها الآن هوأنك تؤنسني.. اصنع لي منزلًا من خيوطك!! وتبسم ضاحكًا وقال: أنت تمزح صحيح.. وضحكت وقُلت له: على مهل لا تغضب أمزح فقط.. وفاجأني بالرد حين قال: أود أن أسعدك، حين تنام أطمئن عليك وإن رأيت عينك تدمع أقوم بمسحها بخيوطي.. لكِ أن تتخيلي أن العنكبوت يفعل هذا دونًا عن البشر.

تُعاني مِن فقدان الحب وفقدان الاحتواء يا مروان.. هل جربت شعور أن تعرف شيئًا عن شخص يهدد مستقبلك لكنه ليس بالشريك الأمثل لك بصفة عامة؟ لكن الحب جعلني الشخص الذي يتذكر مميزاته ويتغاضى

عن عيوبه، وحتى إن شاهدته يفعل ما يؤذيك أمام عينيك، تتغاضى عن ما تريد وتتخلى عن أولوياتك من أجله.

- أمنية، عليكِ أن تعلمي جيدًا.. "أن الحب أعمى لا يُبصِر إطلاقًا".

علينا التحلي بالقوة ولا نستسلم لِما نُعانيه.

- الفكرة أنني لا يروقني الأمر.. أسعى لتحقيق مدينة مثالية يحكمها الوعي مبنية على الحرية والديمقراطية، حيث أن المجتمع المدني كفيل أن يحفظ جميع الحقوق والحريات والواجبات الأساسية التي تحقق الأهداف والتطور الذاتي للفرد بعيدًا عن التطور التكنولوجي الذي نشهده الآن، وأبسطها حرية الرأي والتعبير والمساواة بين الجنسين بعيدًا عن التعقيد الرأسمالي الذي يعتمد على الذات، الرأسمالية تعقيدها الوحيد هو الجشع لكسب المزيد من النقود، حيث حق الكادحين مهدور لأنني منهم وهم مني أعلم جيدًا معاناتهم يقبلون بالعبودية في مقابل الحصول على قوت يومهم فقط.

راقني الأمر كثيرًا يا مروان.. أتعلم!! نحن لسنا بجناحين لنتخذ شكل الملائكة كما صور لنا منذ الصغر، نحنُ محاطين بكم هائل يُفتت ثنايا الروح، يجعل منا الأكثر عزلة وهناك من يلجأ إلى القوة أو بالأحرى التظاهر بالقوة.. كلانا عبء على أنفسنا وأثقل العبء كاهِله، وخبأ باطنه بابتسامة ظاهرية تحمل الكثير مِن المعاني.

- أمنية.. ربما يُريدك وربما لا، بالأحرى هولا يدري، يخبئ كُل شيء داخله، ولا يقوى أن يرى أحدهم يتألم.. اخلعوا ثياب الضحية وسوف أخلع ثياب الجلاد، الذي أتظاهر به.
- كم من شر يحمل بداخله فيض الخير!!
- كم من خير يحمل بداخله فيض الشر!! يا مروان.

ثياب الجلاد الذي أتظاهر به يجب علي فعل ذلك، لكي لا أكون فريسة في أيادي لا ترحم.. إنما ثياب الضحية يرتديه الكثير يعتبر الفئة العظمى يستمتعون في لعب دور الضحية لغرض ما لا يعلمه إلا هُم، ربما للحصول على شيء ما مادي أو معنوي، يستدرجون مشاعر الآخرين نحوهم وفي نهاية المطاف بعد انتهازهم الفرصة يتركونهم ضائعين مشتتين الذهن والكثير منهم يصابون بالاكتئاب وينعزلون عن البشر ويكرهون مخالطة البشر بسبب غرضهم الدنيء، تبًا.. هناك فئة أخرى "لن يكفوا عن النظر باستمتاع نحو السوط الذي يرتفع لأعلى، ثم يستلذون بالجلد فحسب".. وهم أكثر فئة منتشرة خاصة بين الشباب والفتيات يتفننون في إيقاع أعداد كبيرة لأجل الوصول لما يتمنون الوصل إليه من تصريحات بإعلان الحب على سبيل المثال يستخدمون ذلك الوتر الحساس ويقع من خلاله الكثير منهم تحت طائلة قانون الاكتئاب الموسمي وما أقصده بذلك المُسمى على ما أظن أنه يحدث من خلال حدث ما حدث في فصل الشتاء يتذكرون الذي لم يفِ بوعده يُصابون بنوبة ما دائمًا في ذلك الفصل ويعتريهم

الاندهاش لما حدث في السابق في نفس التوقيت وتتذكر أو يتذكر ثم يُردد في نفسه كان يلعب بي لعبة سيئة معقول كنت غرض من أغراضه الدنيئة.

- صحيح، والمعروف باسم الاضطراب العاطفي.. ما رأيك فيما يحدث بالنسبة للوضع الحالي؟

الاحترام يا أمنية فوق كُل شيء، هذا الفيروس اللعين، معذرة أيها الفيروس.. الاحترام هو السيد هو القائد هو الملك هو العرش الذي يجلس به الإنسان فوق مَن لا يعرفون معنى الإحترام.. حدث في يوم ما سيدة أُصيبت وتوفت، رحمة الله عليها رفضوا جميعًا أن يتم دفنها خوفًا مِن إصابتهُم وانتقال العدوى منها لهم.

- معذرة لمقاطعة حديثك.. لماذا قدمت اعتذارًا للفيروس؟

بكُل بساطة هو رسالة ما نجهلها، وقد أوقف البشر جميعًا عند حدهم، ولأنني ضد التعميم فليس كُل البشر مثل مكب النفايات.. هناك مَن يستحق الحياة وهناك مَن لا يستحقها، ظهوره المفاجئ هذا بسبب الضغوطات التي واجهتها الطبيعة من تخريب وتلف وعدم الاستقرار لها، كل ما يحدث بسبب ذنب الحيوانات البريئة التي تحافظ على التوازن البيئي يتم اصطيادها وقتلها دون أدنى رحمة، إنها انتفاضة الطبيعة التي أعلنت تمرُدها بشيء لا يُرى بالعين المجردة.. وهذا قلة احترام بقدرة الطبيعة التي أبكتنا جميعًا دون استثناء أحد، أصبحنا نخاف ليس على أنفسنا بل على الذين لديهم أمراض مستعصية إذا أصابوا بذلك الفيروس سوف يلقون حتفهم.. أما عن الاحترام الذي أقصده عن الذين يدعون مثاليتهم أمام الجميع وعند أول

حادث حدث بوفاة السيدة أهالي المنطقة جميعًا رفضوا دفنها خوفًا وقد أظهر حقيقة نواياهم الادعاء فقط وهم يعلمون جيدًا أنهم لا يستطيعون فعل شيء، غير أنهم يستطيعون أن يظهروا لنا أنهم أبطال خارقون قادرون على اجتياز المصاعب.. الادعاء يا أمنية هو أحد أشكال الفساد لكنه مختلف بعض الشيء، فهوليس خاضع تحت بند قضايا الرأي العام.

– لكن يا مروان.. لماذا يلجؤون إلى الادعاء؟

الأمر له علاقة وطيدة بالنرجسية يا أمنية.. حيث أن النرجسية مُصنفة من ضمن الأمراض النفسية حيث يدعون الكمال وهُم في الأصل يتملك منهم النقصان.. تلك الشخصية هى الأكثر إيذاء للنفس الأخرى التي تخضع لحجتهم القوية للحصول على مُرادهم، وهذا وحده يُعَد أذى للطرف الآخر، حيث أن الشخص النرجسي يتسبب في حزن الطرف المظلوم ويعكر مزاجه وبعدها يصيبه الاكتئاب بفعل عوامل النقاء والصفاء واهمين أنفسهم بها.

– أفهم من ذلك، أنهُم لا يعتقدون بأنهم يرون الكمال بأنفسهم فقط والنقصان للآخرين!

نعم، نعم.. يا أمنية، شعور مبالغ بأهمية ذواتهُم، يشعرون بالاكتئاب والمزاجية المتغيرة لأنهم لا يستوفون الكمال، ودائمًا يضمرون شعورًا بعدم الأمان، والخزي، والضعف والمذلة.. تبًا لأنهُم دائمًا يقللون من شأن الآخرين وينتابهم الغضب وينفد صبرهم عندما لا يتلقون معاملة لا تليق بهم بالأحرى يُريدون معاملة خاصة لكي يشعرون بكمالهُم.

– هل أذوك يا مروان!

نعم بلذة غريبة ورائعة بالنسبة لهُم، رأوني يوسف وألقوني في بئر نفوسهُم.

– حسنًا، حسنًا يا مروان.. أظن أنك لا ترى نفسك إطلاقًا!

لا لا.. ليس كذلك، لا أريد مخاطبتهُم لا أكثر.

– جيد دفتر مذكراتك هذا، أعجبني ما تدونه به بشأن المستقبل.

أجل.. مجرد محاولات تحمل فيض توقعات المستقبل بعد الأزمة لا أكثر.. مازلت أكتُب وأمحو، وأقوم ببعض التعديلات.

– معتقدين أنك لن تفلح!

ويظنون أنني أتوهم.. لكن سأحقق مُرادي في يومٍ ما، وأكاد أن أنتهي من البئر قد جهزته لتلك النفوس.

– يذكرونك دائمًا، بأنك لن تنجح.. وتتلقى منهم الإحباط والخزي.

وأذكرهُم، أنني سأفعل.

– أريد أن أسألك سؤالًا أخيرًا.

بكُل تأكيد.. أمنية.

– ماذا عن تلك الهالة السوداء التي تُحيط بعيونك؟

بسبب كتمان الدمع داخلهُما.

سُررت بلقائك كثيرًا وأتمنى لك السلامة. وأن نبقى على تواصل دائم.

فرصة سعيدة يا أمنية.

الفصل السادس

" المواجهة "

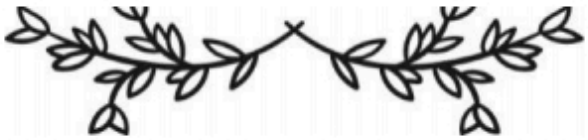

ها أنا قد أتيت لك حاملًا معي سيف مواجهتك أيها اللعنة التي حلت على البشرية جميعًا أنا الذي أتحكم في الكابوس الآن وليس أنت.. أرى الاندهاش قد تمكن من وجهك الذي يظهر للجميع بالكرم والود والاحترام والاحتراف معًا وأنت الأكثر انحرافًا أيها المنجرف اللعين.

– لست منجرفًا يا آدم ويا حواء.

بل أنت كذلك وقمت باستدعاء أعوانك أيها الخبيث العبد الذي يخضع لشهوة الشر، عليك أن تعلم جيدًا.. مَن يلجأ إلى الشهوات وتتحكم به هو بالأحرى عبد لا يفقه شيئًا سوى التظاهر أنه يستطيع فعل كل ما يروق له.

– لقد تمكن الصمت مني لست قادرًا على فعل شيء يا آدم.

الصمت ليس دائم السلمية أيها الأحمق، بل يدل على المكر والدهاء والتلاعب، وهناك من يستخدمون الصمت منبعًا لخططهم الدنيئة أمثالك.

– أنصتوا جيدًا يا بشر.. أنا أسعى للحب وأنتم تُريدون إفساد الأمر.. تبًا لكم لا تفهمون مُرادي.. أنتم المفسدون في الأرض حقًا.

أتقزز مِن كلامك هذا أيها الطاووس أقصد أيها الناري الذي ينطفئ بالثلج والماء.

– تتقزز!

نعم أتقزز.. حين أتحسس ندبة رأسي التي تسببت بها، لكنني أتلذذ أيضًا لأنها دليل على النصر لي وأنت العاجز كُليًا أمامي، تستمد قوتك من الشر الذي يكاد أن يفوح رائحته، بل انتشرت رائحته بالفعل، حين أستنشق دخان

سجائري أتقزز وأتلذذ معًا.. حين قُلت نعم واستسلمت لك بدلًا من قول لا، أتقزز.. حين أصمت ثم تسألني عن سبب صمتي أتقزز.. حين تتدخل في شؤوني الشخصية أتقزز.. حين تراني حُرًا كما خلقني الله وتناقضني وأنت مازلت تحتفظ بكونك عبدًا أتقزز.. أي حب هذا الذي تتحدث عنه!

– يا آدم!

أنصت لي.. الحب الآن في ذلك الزمن الحالي، ليس مثل السابق تمامًا، تم تشويه الحب من جميع الجوانب، الحب بشكل عام هذا ما أقصده، حتى الأخ يقوم بتشويه أخيه.. ما أجمل القطة فهى في مُخيلتها إذا أكلت أطفالها، فهى تقوم بحمايتهم من ذلك العالم الذي يتسع شرًا.

– ماذا عن الكلب يا آدم؟

صامدًا للوفاء وحتى إن تم خذلانه فسيظل وفائه رمزًا من رموز عفته، فسحقًا لك ولأشباه البشر.

– ها أنت يا بشري، أنصت جيدًا "يحتاج القلب إلى استئصال".

خطأ.. بيننا اختلافات ويجب على الجميع احترامها، الله خلقنا بشرًا لكن يجب أن لا نكون أشباه البشر، لكي نتغلب على نواياك السيئة التي تسعى لتحقيق مدينة مليئة بالكراهية والعنف ضد كل من يقف أمامك، لذلك تتلاعب معي لتتمكن مني.. ولن يحدث هذا!

– كلانا مذنبان بدون استثناء، يا آدم.. أنت ضعيف لدرجة عندما تشعر بالرفض تبتعد دون حتى أن تشعرهم بصمتك.

الطيبون للطيبات أيها اللعنة.. فلتترك فضولك اللعين هذا سحقًا لقلبك إذا وجد، فتحيا العقول التى تخلت عن ميول الشر، ومازلت أنت تتمسك بميولك التي تراها تيار فكري مختلف عن باقي الأفكار التي حولنا لذلك تستخدمها بل وتُجيد استخدامها فلتجعل ميولك تُفيق، لأن مَن يمارس الشر يقع في شره ويتلقى العقاب الذي سوف يطارده إلى الأبد.

- لا تنطق عن الهوى، عليك بشراء النقاد لأن عملك الجيد هذا سيختلف عليه الكثيرون منهم، لأنه يُعِد بذرة أمل لأرضك البور، وأنا أسعى لحرق جميع بذور الأمل.

دعني وشأني.. أنت لا شيء بالنسبة لي، أما أنا أريد أن أهزم جيوش اليأس وأعبر حصون مدينته، لأقوم ببناء حصون مدينة الأمل، دون كلل أو ملل.. ما أقبح عبوديتك التي تعيش داخل حصونها.

- أنتم يا بشر، تشبهون بائع متجولًا بعربة التين الشوكي، لا يهاب الشوك بل يستلذ عندما يصيبه.

حين يمتلك الشر قي الحرية، يستخدمها أسوأ استخدام، مهما كانت ثقافته، لكن شهوة الشر تغلبه، فسحقًا لضآلة فكرك، حين تحول ذلك المثقف إلى شهواني.. حين تحول بائع الشوك إلى بائع هيروين.. نعم أصبحت مثل لوح زجاج يكسوه الشروخ، لكن لا يهم.. الأهم رشفة واحدة من الحرية المصاحبة برائحة النقاء، لأن كثرة تذوق شيء مُحلى يصبح نوعًا ما مقرفًا، كاحتسائك للشر.

- تبًا لك.. أنت قبيح الوصف.

أنت مَن تراه هكذا، وأنا أراه عكس ذلك، البشر شر مُطلق وأنت رئيسهم.. ما فائدة رأيي، الأحدث والجدير بالذكر هو رأي الأفضل؟

- هم ليسوا محتاجين كليهما في المدينة، لأن بكل بساطة الفقر فقر القيمة، وأنتم أغنى الناس بالفقر.

هاهاها.. وهل امتلكت القيمة؟

"نبتة لبذرة فاسدة تنتج كارثة".

- لماذا تخضعون يا آدم؟

أخضع كخضوعك للشر.

- لماذا تخاف؟

كان بالسابق، لكن لا طريقة للوصول لأي حقائق، سوى حقيقة البحث فالكل يراك كُلي السواد، وهُم يرون أنفسهم كُلي البياض.. كل طرف من الأطراف يرى نفسه كاملًا.

- أكوان متعددة حولنا وجميعها تحت سلطتي وأعواني كثيرون، بعدد شعر رأسك.

لن تفلح، في مخططك اللعين هذا، الأمر نسبي لدرجة أن شخص واحد فقط، له القدرة على التغيير من خلال التركيز، لكن أنت لا تمتلك القدرة على التركيز، أنت سعيد لأجل الكم الهائل من أعوانك لأنهم يهابون منك، لذلك أنت تهاب مني ولا تستطيع فعل شيء لأنك ترى أنني لا أخضع، ولكنني أصفع وأنت تهاب وترتعب من الصفع.

- أضحكتني يا بشري، هاهاها.

سنرى من سيرفع راية النصر ومن سيبكي بالنهاية، عليك أن تتذكر تلك الكلمة جيدًا "كل شيء سيأخذ مجراه الصحيح".

- سألقيك داخل مجرى البالوعة.. وستلجأ إلي مجددًا ووقتها لن تجد من ينقذك.. أما أنتِ يا حواء سأتزوج بكِ رُغمًا عنك.

اصمت أيها الحقير لن يحدث هذا مُطلقًا.. الأمر أشبه بزواج شاب من امرأة مُسنة، لا تقوى حتى على غسل سروالك الداخلي.. هاهاها.

- سوف نرى أيها الحمقى.

الفصل السابع

" الخير "

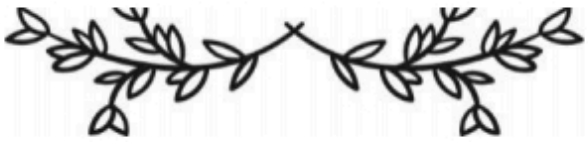

أفِق يا بُني.. ما الذي يحدث لك أثناء نومك؟

– كيف أستطيع إيقاظه؟ لماذا جسده مشدود بهذه الطريقة؟

سأمسح وجهه ببعض من الماء لعله يَفيق، أفِق يا بُني لا تُرهقني.. ما الذي أصابك؟

أمى، أمى.. لم أستطع إنقاذ نفسي دائمًا أنتِ مَن تُنقذينَني.

– هدئ من روعك بُني.. ألا يوجد أخبار عن تالا!

لا أدرى.. مؤخرًا كانت بالحجر الصحي، ولا أعلم عنها شيئا، وفي حقيقة الأمر أهاب من سماع مكروه ما قد أصابها، وأهاب أن يحدث لها تطورات.. هاتفي يرن، إنها تالا.

– قم بفتح مكبر الصوت، يا بُني.

حسنًا.. مرحبا تالا.. ما الأخبار الآن وأين أنتِ؟

لقد تعافيت يا مروان، وخرجت من الحجر الصحي اليوم، وأنا الآن في المنزل.

حسنًا.. حمدًا لله على سلامتك.. والدتي تريد الاطمئنان عليكِ.

مرحبا يا ابنتي.. كيف تخطيتي هذه المدة أثناء مكوثك داخل المستشفي؟

حمدًا لله الأطباء يقومون بعملهم فداءً لأنفسهم، من أجلنا فهم يضعون حياتهم في كفة وحياتنا في الكفة الأخرى، وهكذا يتساوى الميزان.

جيد يا ابنتي، كنت قلقة عليكِ كثيرًا على الرغم من أنني لم أركِ قط في حياتي، لكنني اعتبرتك ابنتي من حديث مروان عليكِ، وأتمنى أن تكوني

زوجة لابني فهو يحتاج امرأة مثلك، مخلصة ومجاهدة وتحب تأدية عملها على أكمل وجه.

لقد أخجلتني، وأسمع صوت ضحكات مروان.

مروان معك يا ابنتي يريد التحدث إليكِ.

تالا، أمي تمزح.. لا تقلقي هناك أمل ينتظرنا جميعًا، وسيكون خيرًا لكن علينا الحذر من الفيروس لتتجنبي الإصابة به مرة ثانية ونفعل جميع احتياطتنا ونلتزم في منازلنا.

لا تقلق بشأني يا مروان، أريد مقابلتك في يوم ما.. كم أشتاق إليك!

أجل يا تالا سيحدث هذا. تصحبك السلامة.

أمي.. لماذا قلتِ لتالا بأمر الزواج؟

– أعلم أنك تحبها، من كثرة الحديث عنها.

نعم أنا بالفعل، أحبها.. لكن يا أمي هذا ليس الوقت المناسب لذلك.

– بل هو أنسب وقت، أنا لن أعيش لك كثيرًا فالموت دائمًا أمر حتمي.

الله يعطيكِ العمر الدائم.. الخير فيكِ إلى الأبد.. دعينا ننظر للخير بوجهة نظر الأديان.. في الديانة الزرادشتية (المجوسية) ديانة إيرانية قديمة وفلسفة دينية آسيوية وهى من أقدم الديانات التوحيدية في العالم، حيث أن الديانات التوحيدية تدعو للإيمان بموجد واحد للكون ومن أكبرها اليوم اليهودية والمسيحية والإسلام، وظهرت في بلاد الفرس قبل ٣٥٠٠ سنة وظهرت الزرادشتية في المنطقة الشرقية من الإمبراطورية الأخمينية.. أهورا مَزدا

(الحكمة المضيئة) هوالإله الأوحد الذي يمثل الخير عند الزرادشتيين والذي يخالفه دائمًا إله الشر أهريمان، بينما أهورا مَزدا هو إله النور والخير ويتحلى بصفات العقل والطيب والحق والسلطان والتقوى والخلود.. زرادشت رجل دين فارسي ومؤسس الديانة وقال في الأفيستا "إني لأدرك أنك أنت وحدك الإله وأنك الأوحد الأحد، وإني من صحة إدراكي هذا أوقن تمام اليقين من يقيني هذا الموقن أنك أنت الإله الأوحد.. اشتد غداة انعطف الفكر مني على نفسي يسألها: من أنتِ، ولفكري جاوبت نفسي؛ أنا؟ إني زرادشت أنا، وأنا كاره، أنا الكراهية القصوى للرذيلة والكذب، وللعدل والعدالة أنا نصير" وتقوم مملكة أهورا مَزدا ويهلك أهريمان وقوى الشر جميعًا هلاكًا لا قيام بعده. عندها تبدأ الأرواح الطيبة حياة جديدة خالية من الشرور والظلمات والآلام، فيبعث الموتى وتعود الحياة إلى الأجسام، ويخلو العالم أبد الدهر من الشيخوخة والموت والفساد والانحلال.

– ماذا عن الخير من وجهة نظر الديانة اليهودية والمسيحية يا بُني؟

يؤمن اليهود بأن الأعمال الصالحة وعلى رأسها "الوصايا العشر" هي التي تنطلق منها كل الأعمال الصالحة وذكرت "الوصايا العشر" في "سفر الخروج" من كتاب "العهد القديم".

الوصايا بين الإنسان وبين ربه الله تعالى:

١ ﴿أَنَا اللهُ رَبُّكَ اَلَّذِي أَخْرَجْتُكَ مِنْ بَلَدِ مِصْرَ مِن بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ.﴾

٢ ﴿لاَ يَكُنْ لَكَ مَعْبُودٌ آخَرٌ مِنْ دُونِي. لاَ تَصْنَعْ [صَنَمًا] وَلاَ شَبَهًا مِمَّا فِي السَّمَاءِ فِي الْعَلْوِ، وَمِمَّا فِي الأَرْضِ فِي الأَسْفَلِ، وَمِمَّا فِي الْمَاءِ تَحْتَ الأَرْض. لاَ تَسْجُدْ لَهَا وَلاَ تَعْبُدْهَا، لِأَنِّي اللهُ رَبُّكَ، المُعاقِبُ، مُطالِبٌ بِذُنُوبِ الآبَاءِ مَعَ البَنِينَ، وَصَانِعُ الأَحْسَنَ لِأُلُوفٍ مِنْ مُحِبِّيّ وَحَافِظَي وَصَايَايَ﴾.

٣ ﴿لاَ تَحْلِفْ بِاسْمِ اللهِ رَبِّكَ بَاطِلًا، لأَنَّ اللهَ لاَ يُبَرِّئُ مَنْ يَحْلِفُ بِاسْمِهِ بَاطِلًا.﴾

٤ ﴿اُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَدِّسْهُ لِتُقَدِّسَهُ، سِتَّةَ أَيَّام تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ صَنَائِعَكَ، وَالْيَوْمُ السَّابِعُ سَبْتٌ للهِ رَبِّكَ، لاَ تَصْنَعْ شَيْئًا مِنْ الصَنائِع، أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ، عَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَبَهَائِمُكَ وَضَيْفُكَ اَلَّذِي فِي مُحَلِّكَ، لأَنَّ اللهَ خَلَقَ فِي سِتَّةِ أَيَّام السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَالْبِحَارَ وَجَمِيعَ مَا فِيهَا وأُرَاحَهَا فِي الْيَوْمِ الْسَّابِعِ. لِذٰلِكَ بَارَكَ اللهُ فِي يَوْمِ السَّبْتِ وَقَدَّسَهُ.﴾

الوصايا بين الإنسان وبين أخيه الإنسان:

٥ ﴿أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ يَطُولَ عُمْرُكَ فِي الْبَلَدِ اَلَّذِي اللهُ رَبُّكَ يُعْطِيكَ.﴾

٦ ﴿لاَ تَقْتُلِ النَّفْسَ.﴾

٧ ﴿لاَ تَزْنِ.﴾

٨ ﴿لاَ تَسْرِقْ.﴾

٩ ﴿لاَ تَشْهَدْ عَلَى صَاحِبِكَ شَهَادَةً بَاطِلَةً.﴾

١٠ ﴿لاَ تَتَمَنَّ مَنْزِلَ صَاحِبِكَ. لاَ تَتَمَنَّ زَوْجَتَهُ وَعَبْدَهُ وَأَمَتَهُ وَثَوْرَهُ وَحِمَارَهُ وَجَمِيعَ مَالِهِ.﴾

وهذا معناه أن اليهود يؤمنون بوجوب العمل الصالح من أجل الخلاص من السيئات.

- من وجهة نظر "المسيحية".. رغم الاختلافات بين المذاهب المسيحية إلا أنها متفقة في الأساس، ومن هذه الثوابت هى تعريف الخطيئة أي "رفض لفعل الخير أو تخريبه، وبالتالي هي رفض الخير المطلق ومن ثم رفض منبعه أي رفض ملكوت الله" وقد تصل إلى حالة الانفصال عن ملكوت الله بشكل نهائي في حال عدم التوبة أو الاستمرار في ممارستها بلا مبالاة ولذلك فإن الخطايا التي ترتكب عن غير معرفة أو قصد لا يعتبر الإنسان مسؤولًا عنها. وتقسم الخطايا، من حيث نوعها، إلى ثلاث أنواع: طفيفة، وثقيلة، ومميتة، بكل الأحوال فإن كل خطيئة من الممكن أن يقبل الله التوبة عنها، صافحًا وغافرًا، يقول يسوع المسيح عن سر التوبة لتلاميذه "خذوا الروح القدس، من غفرتم خطاياهم تغفر لهم، ومن أمسكتم خطاياهم تمسك لهم" يوحنا ٢٠/ ١٢٣.

أمي.. سأفتح مجالًا لكِ للتحدث عن الخير في الدين الإسلامي.

- جيد يا بُني، أنصت لي.

العقيدة الإسلامية أكثر حداثة من باقي الأديان، الأيديولوجية الإسلامية قائمة على أن الأصل في الإنسان هو الخير، وأن الإنسان وكل المخلوقات

خلقوا على الفطرة السليمة، ويقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم:{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} سورة الروم آية: ٣٠

إن الحسنات تغفر السيئات وتمحوها جميعًا، فيقول الله تعالى في القرآن {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ} سورة هود آية: ١١٤

وأن الله يعطى المسلم مقابل كل حسنة يفعلها أضعاف حسناته، وأما السيئة في حال لم تغفر له فتكتب كما هي.

رائع.. دعيني أقدم النظرة الفلسفية للخير من وجهة نظر الفلاسفة.. قال "أفلاطون: تتمثّل الأخلاق في كبح شهوات الإنسان، والتّسامي فوق مطالب الجسد بالالتفات إلى النفس والروح وتوجيههما لتحصيل الخير والمعرفة ومحاربة الجهل".

"أرسطو: يرى أنّ الأخلاق مُرتبطة بسعادة الإنسان التي هي غاية وجوده، فيعرّفها على أنها الأفعال الناتجة عن العقل، من أجل الخير الأسمى؛ السعادة".

"كانط: ارتبطت الأخلاق عند كانط بالإرادة النّابعة من عقل الإنسان الواعي، لا من رغبته، ورأى أنّ التمسّك بالأخلاق وفعل الصواب واجب أخلاقي".

"جان جاك روسو: يُعرّف الأخلاق على أنها الأحاسيس الطبيعية؛ التي تجعلنا نميّز بين الخير والشر ونتفادى ما يُلحق الأذى بنا وبالآخرين، ونميلُ إلى ما يعود علينا والمجتمع بالنفع، وهي ما تُميّزنا عن باقي الكائنات الحيوانيّة".

"نيتشه: من رأي نيتشه أنّ الأخلاق يجب أن تكون نابعةً من الإنسان نفسه، فعلى كل فردٍ أن يبني عالمه الأخلاقي الخاص، الذي لا يعتمد على العقل وحده، إنما يُمثّل الإنسان كلّه بنقائصه وانفعالاته قبل حكمته.".

– وما هوالخير من وجهة نظرك يا بُني؟

الخير يا أمي ينبع ويفيض بداخلي، من أعماق القلب وأعماق العقل بمجرد التفكير فيه يجعلني أشعر بطاقة إيجابية في فعله وأندفع له بكل قوة وحسم دون تردد، وإن كنت سأتعرض للتهلكة أعلم أن هناك رب في السماء يعلم ما أنوي فعله بشأن الخير ومساعدة الآخرين، الأخلاق يا أمي، تُحدد سلوكيات الفرد بل والمجتمعات ليس لها معايير محددة، الأخلاق تكبح جماح الشر.. الأخلاق دليل على وجود الخير، وإن فسدت الأخلاق فسد الخير..

هناك ظاهرة مفسدة للخير من يفعله ويتظاهر أمام الناس أنه رجل خَير ليقول الجميع عنه هذا الرجل يجب علينا احترامه فهو يقدم كل شيء بسخاء وهذا يُعِد إزدراء للخير.

– معك حق يا بُني، فالعالم لا يحتمل المزيد من القذارة، وكل شيء له تقديره الخاص للجهود المبذولة خاصة الذي يفعل الخير في الخفاء

ولا يفعله في العلن.. يضيع حق الخير إذا كان مُعلنًا عنه.. الخير من وجهة نظري، هوالجهد المبذول لاحتواء أزمة نفسية أولًا، وثانيًا الكورونا كم أحترم الأشخاص الذين يعانون ويقدمون المساعدة لغيرهم وليس شرطًا مساعدة مادية لكن كفي أن يُريحوا النفس بمساعدة معنوية.. أريد أن آخذ قيلولة يا بُني، متعبة قليلًا.

حسنًا يا أمي، لكِ هذا.

- يُحدث مروان نفسه بسؤال قائلًا: كيف يكون البشر هم العدو والصديق والحبيب والأخ والأب والأم والخال والعم؟
- لماذا دائمًا يتوجهون نحو الشر مستلذون بفعله بكل راحة؟ هل حقًا ضميرهم يؤنبهم أم لا؟

أرى أنهم يسعون في الأرض فسادًا، لكن.. ما الغرض من ذلك؟

- ما هى الاستفادة التي سيحصلون عليها مقابل ذلك؟
- كيف يكون لهؤلاء أن يصونوا العهود؟
- من أين أتى الشر؟ هل الشيطان له دور في ذلك؟

لا أدري حقًا.. كيف يتجرأ الأخ على أخته بالضرب والإهانة لأنها أحبت شخص ما؟

- كيف يتجرأ الزوج على ضرب زوجته في ليلته بل ويقتلها أيضًا لأنها تحمل غشاء بكارة مطاطي يُصعب عليه هتكه؟

الكثير مِن جرائم الشرف تحدث حولنا، حتى في هذه الأزمة التي نعيشها في الوقت الحالي.. لماذا هؤلاء لا يفكرون بالمنطق ويتركون للجهل مجالًا لاقتحام عقولهم والتمكن منه؟

- هل يشعرون هؤلاء بالسلطة والقوة في ممارسة الشر؟

أراهم يتنفسون الشر بل ويأكلونه، والغريب أنني أشعر أنهم لا يشعرون بالذنب.

- هل الأهل لهم دور في ذلك؟
- هل المجتمع بأكمله هوالمذنب؟

الرؤساء الحُكام.. هل لهم يد؟

- هل الخير والأخلاق موجود أم مجرد جينات وراثية أم هرمونات أم تغيير مزاج فقط؟
- لماذا علي أن اصمُد أمام كل هذا؟

لن يكُف عقلي عن طرح الأسئلة.. لماذا تجار المخدرات والأعضاء يتاجرون بها؟

- هل الرأسمالية لها دور في ذلك؟
- هل الانتحار هو الحل أم انتظار قدر الله؟
- لماذا الله يعطيني الأمل والصمود؟ هل يوجد أُناس مثلي؟

سأجعل من الأمل والصمود اللذين أعطاهما الله لي رسالة ما، وهو بالفعل رسالة من الله لي.

سوف أغير تلك المفاهيم الخاطئة، إن فلح الأمر سأتمكن من تغيير عقولهم التي لا تنبع سوى السلبية.

يرن هاتفي الجوال، إنه مصطفى.

أهلا مصطفى.. كيف حالك؟

- بخير يا مروان، وأنت! أريد مقابلتك.

حسنًا يا مصطفى، غدًا في تمام الساعة الرابعة والنصف عصرًا.

- جيد ذلك الموعد، تصبح على خير.

وأنت من أهل الخير، يا صديقي.

الفصل الثامن

" الشر "

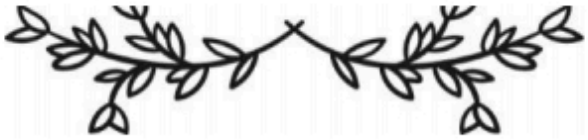

ينزعج مروان أثناء نومه مرة أخرى، يتصبب عرقًا من جميع أنحاء جسده من أعلى جسده الممدد على الفراش حتى أطراف قدميه، وجهه شاحب، هالة عيناه زرقاء اللون، ومخاط أنفه يتسرب إلى ذقنه كالعرق، من شدة خوفه أثناء ذلك الكابوس الذي يعيشه دائمًا، ولكن تذكر أن المراحل السابقة كانت أشد من هذه المرحلة، عقله مستيقظ ويرى روحه خارجة من جسده تُعلن التمرد على الجسد.. قائلًا: وكأنها اللحظة الأخيرة في حياتي.. أين أنتِ يا أمي لتنقذيني؟

وفي لحظة خروج روحه التي يراها أمام عينه، تحكم بها ومن خلالها عبر جدران غرف منزله، وتمكن من دخول غرفة والدته، ووجدها مستلقية على ظهرها نائمة منغمسة في النوم وتضحك، تمكن من دخول حلمها وجد والده يطمئن عليهم، وقال لها بأن مروان سيصبح أكثر تأثيرًا في ذلك المجتمع، ويحقق أهدافه وآماله في تلك الحياة وسيصبح العالم بخير، وسيكون كل شيء على ما يُرام.. هدأ مروان من روعه عندما أنصت لكلام والده داخل حلم والدته، وقبل أن يذهب ابتسم وتوكل على الله ورجع مروان لجسده مرة أخرى، ثم قابله ذلك اللعين أثناء رجوعه قال له اللعين: أتود أن تصحح المفاهيم الخاطئة ولن تفلح ولن تتمكن من الدخول إلى جسدك مرة ثانية لعل هذا هو اليوم الأخير لك في حياتك.

- اصمت أيها القذر الذي تسعى إلى الشر، أنت لن تحقق مرادك ما دمت أنا على قيد الحياة.

هاهاها.. وكيف ستتخلص مني؟

– ليس لك شأن في هذا.. بل أنت الذي سوف تيأس لأنني أقف ضد آمالك البغيضة يا مسلوب الإرادة.

أمسك ذلك اللعين عنق مروان يُريد خنقه، لكي يحتضر ويلقى حتفه، ثم تذكر مروان آيات قرأها من القرآن الكريم والإنجيل والتوراة وانتصر مروان مرة أخرى على الكابوس وذهب اللعين على الفور، وتمكن من الرجوع إلى جسده واستيقظ مروان في تمام الساعة الثالثة والنصف عصرًا على مكالمة صديقه مصطفى، أهلًا يا صديقي.. استيقظت للتو على مكالمتك سوف أحضر نفسي ونلتقي في موعدنا المُحدد.

– حسنًا مروان، سأنتظرك في تلك الحديقة التي اعتدنا الجلوس فيها.

ذهب مروان لمقابلة صديقه مصطفى، وهو في طريقه إليه يقول ويسأل نفسه: لماذا لا نرى بداخل تلك الأحلام سوى الكوابيس؟

– هل هو ناتج من أثر الواقع المُعاش؟

على ذلك الكوكب اللعين يحدث كُل ما يخطُر داخل عقلك

نعم لا شيء سوى تفاقم الوضع سوءًا.. كيف عساني أن أجتهد وأسعى للتغيير وسط الكم الهائل من الشرور؟

أهاب أن يلوثني كل ما يدور حولي ويجعلني مثلهم، وإن حدث هذا سوف يُبَشِر بمستقبل أسود، لأن هناك مَن يستسلمون للتلوث الذي يحوم حولهم لكي يشعروا بالقوة وهذا أكبر خطأ في تاريخ البشرية كُلها، لا وجود للأمان هنا منذ بداية الخلق.. مساء الخير مصطفى.. كيف الحال يا صديقي؟

- بخير.. وأنت!

لا بأس.

- حسنًا.. هل من أخبار جديدة؟

وجدت مكانًا في عقلي عبارة عن غرفة فارغة وبداخل تلك الغرفة، مقعد واحد وهناك بعض من الأشياء تفعل أشياء غريبة أشبه بأطياف تدور حول ذلك المقعد، فكل فكرة جديدة تُفتت ثنايا عقلي.. لك أن تتخيل أن المقعد هذا هو أنا داخل غرفتي.. وماذا عنك؟

- مهلًا.. لم أفهم شيئا مُطلقًا.

ستفهم لِما العجلة.. يا صديقي، نحن نعيش في عالم به جميع أنواع الشرور هي التي تحكم لدرجة أنه تم تغطية الخير جُزئيًا، ولا أدري.. لماذا يسعون دائمًا إلى الشر وبإمكانهم تركه؟

- مروان.. عليك فهم أن مصدر الشرور في ذلك العالم هو الطمع والجشع وأيضًا الكره هو سبب ذلك.. أتعلم لا أستطيع تفسير مصدر الشر ومن.. أين أتى؟

سأقول لك.. قابيل وهابيل حيث أول جريمة قتل في تاريخ البشرية كلها، في الدين اليهودي والمسيحي قد ذكرهما في العهد القديم وهما أول ابنين لآدم وحواء، كان قابيل عاملًا بالأرض أما هابيل فكان راعيًا للغنم، وفي يوم قررا أن يعبدا الله فقدما القرابين. يقول الكتاب: وحدث من بعد أيام، أن قابيل قدم من ثمار الأرض قربانًا للرب. وقدم هابيل أيضًا من أبكار غنمه ومن سمانِها. فنظر الرب إلى هابيل وقربانه، ولكن إلى قابيل وقربانه لم ينظر.

فاغتاظ قابيل جدًا، وسقط وجهه. ولم ينظر الرب إلى قربان قابيل لأنه كان مخالفًا لما كان يتطلبه وهو الذبيحة الدموية أما هابيل فقد فعل.

يقول الكتاب: بالإيمان قدم هابيل لله ذبيحة أفضل من قابيل. فبه شُهِد له أنه بارٌ إذ شهِد الله لقرابينه. حيث قابيل ادعى إيمانه بالرب ولكنه لم يفعل. فقام على أخيه هابيل في الحقل وقتله، فقال الرب قابيل.. أين هابيل أخوك؟ فقال لا أعلم، أحارس أنا لأخي! فقال: ماذا فعلت؟ صوت دم أخيك صارخ من الأرض، فالآن ملعون أنت من الأرض التي فتحت فاهها لتقبل دم أخيك من يدك. متى عملْت الأرض لا تعود تعطيك قوتها. تائهًا وهاربًا تكون في الأرض.

أما القصة في القرآن تقول أن كلًا من قابيل وهابيل قدَ قدما قرابين إلى الله سبحانه، فتقبل الله قربان هابيل؛ لصدقه وإخلاصه، ولم يتقبل قربان قابيل؛ لسوء نيته، وعدم تقواه، فقال قابيل على سبيل الحسد لأخيه هابيل: {لأقتلنك}، بسبب قبول قربانك، ورفض قبول قرباني، فكان رد هابيل على أخيه: {إنما يتقبل الله من المتقين}، فكان ردُّ هابيل لأخيه قابيل ردًّا فيه نصح وإرشاد؛ حيث بيَّن له الوسيلة التي تجعل صدقته مقبولة عند الله.

ثم إن هابيل انتقل من حال وعظ أخيه بتطهير قلبه من الحسد، إلى تذكيره بما تقتضيه رابطة الأخوة من تسامح، وما تستدعيه لحمة النسب من بر، فقال لأخيه: {لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين} فأخبره أنه إن اعتدى عليه بالقتل ظلمًا وحسدًا،

فإنه لن يقابله بالفعل نفسه؛ خوفًا من الله، وكراهية أن يراه سبحانه قاتلًا لأخيه.

ثم انتقل هابيل إلى أسلوب آخر في وعظ أخيه وإرشاده؛ إذ أخذ يحذره من سوء المصير إن هو أقبل على تنفيذ فعلته {إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين}. بيد أن قابيل لم يستمع لنصائح أخيه، وضرب بها عرْض الحائط، ثم انساق مع هوى نفسه، وزينت له نفسه الإقدام على قتله، فارتكب جريمته، فقتل أخاه.

إن قابيل القاتل لم يكتف بفعل تلك الجريمة، بل ترك أخاه ملقى في العراء، معرضًا للهوام والوحوش، ولكن بعث الله غرابًا يحفر في الأرض حفرة ليدفن تلك الجثة الهامدة التي لا حول لها ولا قوة من البشر، فلما رأى قابيل ذلك المشهد، وأخذ يلوم نفسه على ما أقدم عليه، وعاتب نفسه كيف يكون هذا الغراب أهدى منه سبيلًا، فعض أصابع الندامة، وندم ندمًا شديدًا، فقال عندها قابيل: (يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي) ثم أخذ يفعل به ما فعل ذاك الغراب فواراه ودفنه تحت التراب.

- مروان أتقصد أن تلك الشرور في العالم، نبعت من تلك القصة التي نعرفها جميعًا!

لا إطلاقًا.. أنت فهمت المغزى بشكل خاطئ، سأوضح لك شيئا، الله سبحانه وتعالى مهما بلغت قمة توحشك ذروتها، سيغفر لك إن وجد بداخلك نية خير سيكون مصيرك جميلًا.. وإن وجد شخص يفعل الخير الدائم وبداخله نية شر سيلقى حتفه لا محالة لأنه ليس صادقًا فيما يفعله،

وسوف يقف ضده الكثير من العقبات التي لن يصمُد أمامها.. الغراب على الرغم من النظرة المتوحشة التي ينظر إليه بها الأغلبية العظمى له دور في فعل الخير لقد علمنا الدفن ومظهره الخارجي ليس دليل على الشر والشؤم والفقر والنبذ، نحن البشر من جعلناه منبوذ.. لحظة واحدة يا صديقي سأقوم بشراء المياة الغازية قريب من هنا.. أتريد شيئًا ما!

– نعم أريد زجاجة مياة للشرب.

حسنًا.

يحدث مروان نفسه أثناء طريقه إلى السوبر ماركت.. هل سيفهم مصطفى ما أسعى له أم لا؟

إذا سمحت.. أريد زجاجة مياة غازية وزجاجة مياة معدنية.

– حسنًا، تفضل.

كم ثمنهم؟

– عشرة جنيهات فقط.

تفضل.. بكل ثقة يتحرك بخطوة سريعة ويقول، أتمنى من صديقي مصطفى أن يتفهم المقصد الذي أريده أن يتحقق.. ثم اقترب من صديقه وجلس بجانبه ممددًا قدميه على الأرض.

– فلتُكمِل حديثك يا مروان، كُلي آذان صاغية.. أكمِل حديثك عن الغراب.

جيد أنه راقك الحديث عن الغُراب.. البشر جيدون ومحترفون في تشويه كُل شيء يخطر على البال، مع أن الله سبحانه وتعالى ميزنا بالعقل والحكمة للتمكن من زمام الأمور ونفهمها بالشكل الصحيح الذي يُليق بها ونترك الحكم على الأشياء القبيحة أو الجيدة بالشكل الظاهري فقط حتى لو كانت طيور أو حيوانات وعلى رأسهم البشر، الغراب طائر مثل الطيور الباقية لكن شكله مقزز بالنسبة للفئة العظمى.. يحبون النظر إلى النسر على الرغم من أنه من ضمن الطيور الجارحة على عكس كرههم إلى الغراب لأن مظهره الخارجي لا يروق لهم ولكن في باطنه يحمل الخير لأنه علم البشرية كلها طريقة الدفن، على عكس النسر مظهره جميل جدًا لكنه سيء من الداخل لم يُعَلِم شيئا لأحد.

- لقد زادت قناعاتي على طرحك لذلك الموضوع، بأن الله لا يترك شيء وإلا ليكون له سبب يسعى له.

هذا صحيح يا صديقي.. دعنا نستلقي على ظهورنا قليلًا متأملون الغروب.

- هيا لنرتاح من الحديث قليلًا.. عم الصمت بينهما ينظرون إلى السماء مبتهجون.. أحس مصطفى بحركة غريبة بجانبه قائلًا بصوت متهدج محاولًا أن يُهدئ من روعه، مروان.. ما الذي يحدث لك؟

جسده يهتز بطريقة مريبة ومخيفة إنه يلتقط أنفاسه بصعوبة بالغة الخطورة وكأنه يحتضر، لكن يتشنج جسده وعروقه بارزة على جبهته ويداه ويلتفت إلى المارة لكن لم يهتم أحد وضعه يزداد سوءًا، يميل إلى اليسار واليمين وفجأة أخرج ما في جوفه، وهدأ قليلًا لكنه لازال نائِمًا، وبدأ بمسح الماء

على وجهه مرة تلوالأخرى، صرخ بأعلى صوته، مروان.. لماذا تقُوم بعضي؟ اترك يداي.. لماذا شهقتُ هكذا يا مروان؟ يداي تؤلمانني.. صوتك أصبح مرعبًا وغير مُرتب.

- اصمت، وأنصت لي.. صديقك هذا أصبح بالنسبة لي كعرائس ماريونت تمكنت من التحكم به أكثر من السابق، عليه أن يكُف عن غرضه وأنت مَن سيجعله يتوقف عن تحقيق الفوز علي بصناعة تلك المدينة التي لا تحمل أي نوع من أنواع الشرور، يُريد صنع مدينة لها صانع وهو صانعها ويُريد أن يمحو وجودي، وهذا لا يصح أبدًا.. سأظل موجودًا إلى أبد الدهر.

- حسنًا سأقوم بذلك.. وشهق مروان مرة أخرى.. هل أنت بخير؟

لا بأس، رأسي يؤلمني.. هل حدث شيء لا أتذكره؟

لا تقلق.. دعنا نذهب إلى المنزل لأننا غفونا هُنا، هاهاها.. لن أقول له شيئًا أعلم أن ما حدث لمروان هو نتيجة كابوس له.. وقال لي من قبل أنه يحمل رسالة ما ويجب عليه أن يُكملها ويحقق ما يُريده.

الفصل التاسع

" الانتقام "

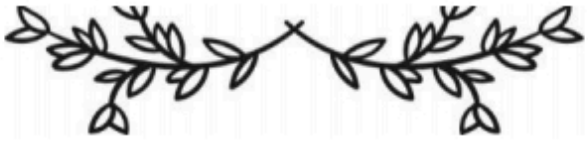

يا صاحب السمو الماكث على عرش جهنم.. أين أنت وماذا تفعل؟ أتيت لك مُجددًا يا عود الثقاب الذي يندلع حريقه بالاحتكاك، هربت الآن كُنت بطلًا مِن قبل، حطمت جميع الحواجز التي تمنعني من الوصول إليك وأعلم أنك تختبئ مثل الحشرة بل الحشرة أطهر مِنك يا صاحب الزمان والمكان هكذا تصف نفسك.. كم أنت مغرور! وتختبئ خلف البركان الملتهب الذي سينفجر في وجهك قريبًا جدًا؛ لأنك تُشبهه تمامًا.. لكن لا بأس سوف أتمكن من الحصول عليك وإمساكك وسأُحَولك إلى جمرة وأبتلعك وتعتقد بأنك أحرقت باطني لكنك ستنطفئ داخلي وينتهي أمرك ويرتاح مِنك الجميع بل البشرية كلها.. وأنت تعلم جيدًا بأن نهايتك ستكون على يدي الملطخة بالعفوية وليست ملطخة بالدماء مثلك.. أنا أقوم باستفزازك وأنت تعلن عن توفر فرص عمل لكل مَن هو مثلك وسأنتظر ردك المُبهم بالنسبة لي.

- أنت تتجرأ علي ولن أسمح بذلك.. لدي أعوان إن لحق بي الأذى سوف ينقذونني، ويحطمونك وستتلقى أشد عقاب.

وضيع أنت لا محالة.. وأحمق أيضًا، لكن لن ألوم غرورك هذا لأنه سوف يقضي عليك.. صحيح لقد تمكنت صديقتي من الدخول إلى حلمي لتنتقم وستتلقى أشد انتقام ولن تتمكن من العيش بيننا مُجددًا.

- العقبة الوحيدة التي في حياتي أنني وجدت بشرًا لا يكفون عن الاستمرار ويسعون لكل شيء ليهدموه ويحطموه.

صحيح نحن نُحطم كل شيء من مكر ودهاء، يُسيطر عليك لينتهي العالم مِن أفكارك الوضيعة.

- وكيف سينتهي أمري؟ بالسُم مثلًا.. أنت تحلم وتستنشق هواء الأمل.. لكنه هواء بارد.

أنت تراه هواءً باردًا وستموت به، ويتخلص الكوكب أجمع مِن شرك.

- أنت ذو قدرات خارقة وأنا لا أدري.. مهما فعلت بي فأنا مخلوق مِن النار، ولا توجد قوة في هذا الكوكب تُضاهي قوتي.

جمعت أعوانك سريعًا.. أنا وتالا لنا القدرة على تحطيمك أنت وأعوانك، عاصفة غضب جمهورها يكمن في رأسنا من خلالها سيقترب الانتقام مِن تلك العاصفة وتبًا للعاطفة التي تسحق وتبتلع ونهايتها الحُطام، لن أخضع لك مرة أخرى لقد اقتربت لتحقيق أهداف المدينة، تذكر بأنك قُمت بالخداع وتغاضيت ومزقت العهد، لأنك لم تكُن صادقًا ولن تكون.. انظري يا تالا الجميع دون استثناء ينظرون إلينا بكثير من الحفاوة.. أين ذهب ذلك اللعين؟ دعينا ندخل يا تالا إلى عرشه لنراه قد يكون ماكثا هناك.

هيا بنا يا مروان في الحال، يجب علينا القضاء عليه.. وكفى استسلامًا له، أمر حاسم فلنسرع للدخول، اقتربنا.. ما هذا المظهر الخارجي للعرش؟! انظر جيدًا وجه هيكلي عظمي باللون الأحمر ممزوج بالأسود وله قرنين أسودين وفمه مفتوح على مصرعيه، داخله مصعد خشبي صاعد على اليمين، ومصعد على اليسار يؤدي إلى سرداب مجهول مُظلم.. يا للهول؛ تكدست الجماجم على الجدران بأشكال متنوعة وألوان مختلفة منها

الزاهي ومنها الأشد قُبحًا وانطفاء.. لم نلاحظ أننا قمنا بالدخول للتو ولكننا بالداخل الآن.. كم هائل من الأطياف التي كانت تأتي لنا في أحلامنا أثناء النوم.. هل سنصل إلى مرحلة الذروة في محاربة الكيان الذي يختفي ويظهر بتلاعُب وخداع جديد؟

ربما تالا لِما لا.. علينا أن نأخذ حذرنا جيدًا.. لا تتسرعي هناك هيكل عظمي أمامك مُلطخ بمادة خضراء اللون وعيناه محمرتان وظهره منحني انحناءة غريبة، وأنفه وفمه ينزفان تلك المادة؛ احترسي سيصطدم بكِ.

تبًا يا مروان.. كاد أن يصطدم بي.. لولا أن قمت بشدي بعكس اتجاهه، لكن.. كيف وقع من الأعلى هكذا؟ إنه مربوط بحبل سميك.. وكأنه نيزك كاد أن يحطم كوكب الأرض.. لأن تلك المادة لامعة للغاية كلمعان النيران التي تخرج من النيزك.

علينا أن نأخذ عينة من تلك المادة ونقوم بتحليلها يا تالا.. ربما تكون مؤذية جدًا.. لا أحد يدري؛ أعطني حقنة واحدة

التي تستخدمينها في أخذ الفيتامينات من حقيبتك، لأسحب العينة وأضعها تحت الميكروسكوب الخاص بفحص الفيروسات إنه من النوع الحديث جلبته مِن إحدى الكائنات الفضائية ليلة البارحة بعد منتصف الليل وجدت طبق طائر بجانب المنزل فتقدمت نحوه لأتفقده، وفجأة فُتِحَ باب ذلك الطبق وخرج منه رجل مثل هيئتنا لكنه ليس بنفس ملامحنا فوجهه مثل المثلث؛ رأسه نصف بيضاوية وذقنه مدببة ونظر إليّ بعينين جاحظتين لونهُما أسود كالفحم.. أخذت نفسًا عميقًا وأعطاني ذلك الميكروسكوب

وأشار عليه وكيفية استخدامه بالإشارة ثم تركني ورحل؛ حينها تيقنت أننا سنواجه ذلك المخلوق الخفي الذي يسعى إلى الفوضى العارمة.. فالأمر لا يحتمل يكفي ذلك الفيروس الذي يقضي على حياة الآخرين واحدًا تلوالآخر بل وصل العدد للآلاف من الإصابات ونصفهم يموت، بعضهم خوفًا وذعرًا وبعضهم مِن الفيروس.. لقد قمت بأخذ العينة للتو ولكننا لا نستطيع معرفة مكونات تلك المادة الخضراء الآن لن أضعها داخل الميكروسكوب الطبي المتطور لنكتسب الوقت بدلًا مِن أن يصيبنا مكروه فجأة.. علينا البحث والتنقيب عن ذلك المخفي لنتخلص من شروره مستغلًا نظرية المؤامرة التي تحرض على إثارة البلبلة والفتنة بين جميع الدول العربية وغيرها؛ فتلك النظرية مادة من مواد ذات أثر كبير على يتملك منهم الجهل وعدم القدرة على الإدراك فيقعون تحت طاولة الحوار الغير مرغوب فيه متعصبون لرأيهم، الذي هو في الأصل مشابه بالنسبة لكل مَن يتبع تلك النظرية.

أتقصد يا مروان بأن المؤامرة لها مبرر لأغراض ذلك اللعين، الذي يريد في الأصل إحداث الفوضى العارمة بحجة نشر الحرية الغير مفهومة جيدًا؛ حتمًا لقد فهمت ما تقصده سأعطيك مثال: بأن هناك امرأة قرأت عن الحرية فقامت بخلع ملابسها، ورجل قرأ عن الحرية فأحدث الفوضى العارمة في كُل مكان، وهذا يقع تحت بند حقوق الحريات في نظرهم لكن هذا أكبر خطأ على مر العصور ولقد وجدنا بذرتها الفاسدة في عالمنا وعامنا هذا ٢٠٢٠، القرن الحادي والعشرون ولايزال هناك الكثيرون يعتقدون ويشككون في كروية الأرض أم تسطحها ، فالعلم أصدر قرارًا حاسمًا تجاه

هذا الموضوع.. ومن المفترض ألا نَشغل تفكيرنا بتلك الأشياء التي لم تفيدنا بشيء ونضع كامل تركيزنا على القضايا الهامة المتعلقة بإفادة المجتمعات جميعًا المتحضرة أولًا وغيرها من الدول الغير متحضرة؛ تبًا.. هناك سلبيات كثيرة جدًا لا تُعَد ولا تحصى كزواج القاصرات وهذا نوع مِن أنواع "وأد البنات" كأن ابنتهم دُمية يحركونها كما يشاؤون ولا يدركون بأن لها متطلبات وحقوق كالرجل تمامًا.

هذا ما أقصده يا تالا؛ تعتمد تلك النظرية على الأكاذيب فهى أخطر أنواع الكذب لأنها بمثابة أفعال غير قانونية مؤذية في بعض الأحيان، في أغلب الحالات تتناقض مع الفهم التاريخي السائد للحقائق البسيطة؛ كفكرة البعث بعد الموت.. وقد استخدمها الجراح الشهير "سيرجيوكانافيرو" واكتسب شهرته بفضل مطالبته بإجراء عملية زرع رأس لإنسان، ويشير إلى أن نجاح التجربة على جثة إنسان لأول مرة في التاريخ، يظهر بأن خطته لإجراء عملية نقل رأس باتت الآن جاهزة للتنفيذ.. وقال الجراح أن عملية الزراعة الناجحة على الجثة تبين أن التقنيات الطبية الحديثة التي تم تطويرها لإعادة ربط العمود الفقري والأعصاب والأوعية الدموية ستسمح للجثة بالتعايش مع الرأس بشكل جيد، ويبدو أيضا أن الجراحة يمكن أن تصل إلى الهدف المراد تحقيقه بأن تستغرق ١٨ ساعة.. وكانت نوايا "كانافيرو" مثيرة للجدل حيث اكتسب إلى جانب شهرته، سمعة سيئة بشأن إجراء مثل هذه العمليات، حيث تحدث عن أنه سجّل أول مريض له وهو رجل روسي يدعى "فاليري سبيريدونوف" والذي سيحتفظ برأسه مجمدا ثم يتم وضعه على جسم مانح جديد.. ونقلت صحيفة تلغراف قوله خلال مؤتمر

عقد في فيينا أن "هذه أول عملية من هذا النوع في العالم تنفذ بنجاح، وإن كان من الواضح أن ذلك لن يتحقق فعليا إلا إذا خضع شخص ما لهذه العملية وتمكن من العيش فعليا بعدها".

وعلى الرغم من تقديم "كانافيرو" لأدلة متعددة على نجاح مثل هذه العملية على أشخاص أحياء بما في ذلك نجاحها على الفئران والقردة، إلا أن الأطباء يحذرون من تبعاتها المرعبة على البشر الأحياء والتي قد تؤدي إلى "ما هوأسوأ من الموت" جراء المعاناة المروعة التي ستنتج عن التكيف مع جسد جديد.

مروان.. قال تعالى في كتابه الكريم.. (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ)، " الروم:١٩ "

نعم صحيح.. لكن من إحدى سمات نظرية المؤامرة هو إحداث بروباجندا؛ وهى الدعاية والترويج والتبشير وتعتمد على الكذب المتعمد بغرض التأثير على الأشخاص عاطفيًا.. والهدف التغير من الحصيلة المعرفية وهذا يتنافى طرديًا على تقديم المعلومات بالشكل الصحيح المطلوب، والسوشيال ميديا لها دور في ذلك على توجيه الدعوة لأفكار سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية وحتى الدينية، وتُعَد من أكثر الأشياء تأثيرًا على الرأي العام.

لكن يا مروان، يجب علينا أن ننهي ذلك في أقرب وقت ممكن.. وأن نكون مثالًا جيدًا للأجيال القادمة؛ كما يجب أن نتحلى بالصبر والسلوان وأن

يكون هناك تداولات تحث على الخير وأنماط الحياة التى تدفعك إلى أن تنهي تلك الفوضى، ونحظى بالخلود في مجتمع مثالي عظيم.. يجب علينا إصلاح نوايا المجتمع.

- ما هذا الجدار الغريب! العناكب عليه كبيرة الحجم على غير العادة سوداء اللون ومنها الرمادية؛ ربما تكون أعوان إبليس لكن علينا أن نحذر جيدًا ونكون جاهزين لمواجهة التحديات والصعوبات التي سنمر بها.

أظن يا مروان حان موعد وضع تلك المادة تحت الميكروسكوب؛ لمعرفة مكنوناتها.. وماذا تفعل إن مست جسد الإنسان؟

سأفعل ذلك في الحال.

"وضع مروان العينة التي قام بسحبها تحت الفحص داخل الميكروسكوب"

إنه يقوم بالعد التنازلي يا تالا.. ستون ثانية لا أكثر وسيتم عرض النتيجة على تلك الشاشة الصغيرة، علينا توخي الحذر حتى ظهور تلك النتيجة.

حسنًا.. سأتفقد جميع الاتجاهات بعينيّ في تلك المدة.

نعم يا تالا.. نحن على مقربة من معرفة الحقيقة الوحيدة التى من خلالها سوف نتمكن من تحقيق المعجزة التي سوف تشهدها البشرية.

رائع إذا.. ما هى النتيجة يا مروان؟!

إنها مادة ال "DMT" التي تُفرز بكميات كبيرة من الغدة النخامية أثناء لحظات تغير الوعي كالولادة، والموت، وأثناء الحلم، ولهذا السبب تسمى بجُزيئة الرّوح، وبالتالي فإنَّ تنشيط هذه المادة الكميائيّة قد يساعد على فهم تجربة الاقتراب من الموت وعالم الأحلام، تعدّ مادة ال "DMT" من المهلوسات القادرة على تحريض حدوث رحلة مهلوسة ومخدّرة تستمر عادةً من ٣٠ حتى ٤٥ دقيقة، كما يُستخرج الـ "DMT" من مجموعة متنوعة من النباتات.

أتقصد أننا الآن تحت تأثير تلك المادة، كوننا نعيش في هذه اللحظة ما بين الحلم والواقع لأنها تنتهي فور استيقاظنا.

نعم ربما ولكن انتبهي يا تالا.. هناك شيء ما تحرك خلفك لا أدري ما هو ولكنه سريع التحرك، أخشى ألا نتمكن من الخلاص ونلقى حتفنا داخل ذلك الكابوس ولا نستطيع العيش مجددًا في واقعنا الذي نحلُم به.

لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا يا مروان، لا تقلق ولا تقنط من رحمة الله.

لعله خير، ولعلها آخر تنهيدة.

- اصمتوا أيها الحمقى، عليكم لعناتي التي سوف تصيبكم وتتوغل داخلكم ولن تتمكنوا من التحكم في أجسادكم مرةً ثانية، لأني سأكون المتحكم الأكبر كأنكم آلة تطيع الأوامر فقط لا أكثر، الدخول لعالمي أمر يستحيل الخروج منه بخير وأنتم قررتم عدم الاستسلام، عليكم أن تتحملوا العواقب التي سوف تتلقونها لن أستخدم معكم اللطف مرة أخرى، لن يفلح البتة أنتم مَن اخترتم طريقكم وتمردتم على مَن

قدم لكم يد العون، فتلك اليد ستكون يد الظلام، يد العذاب فلن يقف أحد في صفكم لأنكم بالفعل لن تحظوا بأي شيء مطلقًا ولن يستطيع أحد التدخل في إنقاذكم من تحت يدي الملطخة بكل ما هو سئ لكم وليست ملطخة بالدماء فقط، بل بالنيران أيضًا سيتم حرقكم إلى حين تلفظون أنفاسكم الأخيرة طامعين في الحصول على لذة العيش مرة أخرى، أنتم مَن وقفتم ضدي وتمردتم عليّ، كنت سأمنحكم القوة والثقة بالنفس والمال وكل لذة تريدونها، لكنكم هجرتم كل ما كنت أحمله لكم.. أغبياء أنتم أيها البشر.. سأطرح بإنسانيتكم أرضًا.

بصوت واحد في نفس التوقيت وهما يرتعشان قالوا لذلك اللعين: سوف نرى مَن سيقضي على الفساد.

- أنتم حمقى وستظلون هكذا.. ها، ها، ها.

وأنت لا تفقه شيء مطلقًا، الإنسانية لم ولن تنتهي، أنت الذي سوف تتحطم يا مُفسِد، عليك اللعنة.. تالا، تالا.. أين أنتِ؟ كنتِ هنا للتو، وذلك اللعين اختفي أيضًا، تبًا.. لقد قام باختطافها، سأبحث عنها في كل مكان، سأقوم بالبحث في اللاشيء والشيء، والمجهول واللامجهول.. لقد علمتُ بأمر تلك المادة وعلمتُ أننا تحت تأثيرها بسبب إفراز الغدة النخامية لها، ذلك اللعين يستغل ذلك الوتر ويلعب على التوتر، نحن لم نكن آدم وحواء هو مَن صور لنا ذلك، إنه مخادع للحد الذي لا يطاق ولكن سوف أتمكن من إنهاء ذلك الشر الذي مقتنع هو أنه مُطلق، وهو ليس كذلك كما يعتقد، سنرى من هوالأحمق سنرى مَن الذي سيفوز الحق أم الباطل.. الخير أم

الشر.. الأبيض أم الأسود.. مَن الذي سيحقق مراده ومَن سليقى حتفه.. وإن لم أتحداه، أن أنال شرف المحاولة، حتى وإن كانت حياتي هى الثمن.. ما هذا الصراخ؟! إنه صوت تالا، نابع من الجهة الشرقية من ذلك المنزل، أكاد أن أصِل، صوتها يقترب أكثر فأكثر.. ما هذه الغرفة الغريبة؟! باب تلك الغرفة سوداء اللون ممزوج بالأحمر وعليه نقوش غريبة غير مفهومة وجماجم كثيرة.. ما الذي يحدث؟ لم أعد أفهم، هناك رموز تتحول وتتحرك، ربما ستكون علامة لي أو شيء آخر، لا أدري!.. "المحرقة" عَمّ الصمتُ فجأة وأصبحت الأجواء هادئة تمامًا والضوء الخافت الذي كان موجودًا اختفي، والظلام الدامس مصير كل مخلوق هنا وليس مصيري أنا، وليس مصير إبليس وأعوانه ولا أعلم.. ما الذي سوف أتلقاه عما قريب.

الفصل العاشر

" المحرقة "

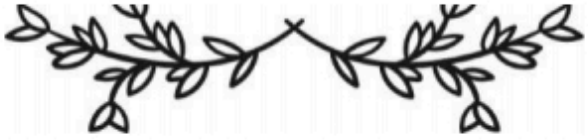

استيقظ مروان من كابوسه هذا، ولم تأتِ والدته لكي توقظه، بات مندهشًا وتفقد غرفتها فوجدها مستلقية على ظهرها تركها نائمة بسلام، وقام بتحضير الفطور وحده، لكي تستيقظ والدته ويحظوا بالفطور سويًا.. ورن هاتفه المحمول إنها تالا.. مرحبا تالا.. كيف حالك اليوم؟

– لست بخير قد أتاني كابوس أثناء نومي ولكن لم أتذكر منه شيئًا.

أنا أيضًا كذلك، لكني أتذكره جيدًا وأنتِ كنتِ معي داخل الكابوس هذا، لنتخلص من رأس الشر بعمقه لنحظى بعالم ملئ بالإيجابية، ولكن ذلك اللعين قام باختطافك.

– يا للهول!.

نعم، دعيني أنتهي من الفطور هذا لأن أمي نائمة نومًا عميقًا.

– حسنًا لا بأس، لك الحق في ذلك.

أمي هيا أمي استيقظي، قمت بتحضير الفطور هيا لنأكل سويًا.. لماذا لا تُجيب؟ سأتفقدها.

دخل مروان غرفة والدته ليتفقدها، وضع يداه على أكتافها ورأسها لم تجبه، ثم أمسك بكف يد والدته ورفعها عاليًا ثم تركها، وعلم أن والدته قد فارقت الحياة.. ثم لجأ مُسرعًا إلى هاتفه وقام بالاتصال على صديقه مصطفى رفيق طفولته، أجِب يا مصطفى.. مرحبا مصطفى عليك أن تأتي مُسرعًا إلى منزلي، لأن هناك خبر سئ للغاية.

– ما الذي حدث؟!

أمي فارقت الحياة، وعلينا أن ندفنها وأنت تعلم أنني وحيد وأقاربي ليسوا هنا بمصر هم بالخارج، أرجوك مصطفى لا تخذلني.

– أنا قادم في الحال، تصحبك السلامة.

أشعل مروان سيجارة تلو الأخرى وينتظر مجئ صديقه، ويجلس بجانب والدته يبكي ولا يفعل شيئًا سوى أنه يحرق التبغ ويحترق ويبكي، على فقدانه أكثر شخص يحتويه ويستمع له ولرغباته ومأساته ويهتم بكل تفاصيل حياته، وبات يسأل نفسه: مَن الذي سيهتم بي بعد الآن؟!

دق باب منزله، ذهب وهو يترنح كأنه شارب الخمر.. تفضل مصطفى بالدخول، وعيناه مغمورتان بالدموع التي تكاد أن تنحت خديهِ.

– هيا مروان في الحال يجب علينا الذهاب إلى المستشفى، لكي نقوم باللازم ونقوم بدفنها في أسرع وقت، وعليك أن تتحمل كما أنت لأنه يجب على طرف من الأطراف أن يتحمل، لأن البكاء لن يجدي نفعًا.

انفجر مروان قائلًا: أنت لا تشعر بي.

– هدئ من روعك يا صديقي، أشعر بك، الفقدان شيء يصعب على المرء تحمله.. هيا بنا.

آه، آه، آه.. سأحاول حتى تمُر تلك اللحظة السيئة بالنسبة لي وأعلم أننا جميعًا راحلون.

– معي سيارتي أمام باب المبنى، ساعدني لكي نحملها للأسفل ونذهب للمستشفى لفعل اللازم.

ذهب كلاهما وقاموا بانهاء الإجراءات اللازمة وتصريح الدفن وكل شيء، وذهبوا للصلاة عليها وتم دفنها في مقابر العائلة.. وكل منهما ذهب إلى منزله، وقام مروان بالاتصال بتالا وأخبرها عن خبر الموت، وقالت أنها سوف تقابله في يوم متاح.. ومن ثم فقد مروان توازنه ووقع أرضًا.

- صراخ تالا يعلو أكثر فأكثر، قال مروان لنفسه: تبًا لذلك الكابوس الذي لم ينته بعد، لقد فاض بي سأدخل إلى المحرقة، تبًا.. ما هذا الكائن الغريب؟! إنه يقترب مني، أنا أرتجف وأنتفض خوفًا، لا أريد أن ينتهي بي الأمر هنا، سوف أهرب في الحال، لا مجال للهرب الآن إنه أمامي، الأمر يبدو مألوفًا لي، والذي أمامي هذا مألوف أيضًا، سأنتظره كي أعرف.. ماذا يريد لعلّه يساعدني؟

ألا تتذكرني يا مروان؟! أنا الكائن الفضائي الذي خرجت لك في إحدى الأيام من الطبق الطائر، وأعطيتك الميكروسكوب الحديث لمعرفة المواد الغريبة، لعله أفادك أتيت لك هنا لكي أقوم بمساعدتك.. فالأمر أصبح حاسمًا الآن ويجب علينا الاتحاد سويًا، وعليك أن تعلم أنني أراقبك منذ البداية وتمكنت من معرفة ما تنوي فعله لذلك وددتُ أن أساعدك لأنك تستحق وأيضًا تسعى لتحقيق المدينة المثالية.

- ما الذي تنوي على فعله؟! ولكن أنت من أي مجرة؟!

سوف تعلم كل شيء.. أعجبني ترحيبك بهبوط الكائنات الفضائية على كوكب الأرض، مُعلنون عن الغزو الثقافي في جميع أنحاء الدول والمدن والقرى التابعة والنابعة منها المفاهيم التي يجب تصحيحها كُليًا ويؤكدون

بأن مجرة أندروميدا هى منبع العلم والثقافة، التي يجهلها الكثيرون ممن يعتقدون بأن لكل وقت دور كبير في الحياة اليومية التي تعد ملجأ للتوابع الغير مرغوب فيها إطلاقًا، لذلك قررنا نحن سُكان المجرة المجاورة باقتحام مجرة درب التبانة وبالأخص الكوكب الأزرق، وسيتم حساب كل خطوة بخطوة بمعيار البعد ٥ , ٢ مليون سنة ضوئية، فكل مَن يعترض على قوانيننا التي نسعى لتحقيقها سيتم نفيه للفضاء الخارجي بنفس معيار البعد، لذلك يجب أن تقتنعوا على ما سنبوح به من خلال رسائل مشفرة بنظام جديد غير مألوف لكم كبشر، ولن نستخدم السلاح قط، مع العلم أننا نمتلك أوراق تاروت تشكل خطرٌ كبيرًا بالسجن داخل بلادكم على الفور بضغطة واحدة في إحدى أنحاء تلك الورقة وسيتم بناء السجن إلكترونيًا، فلا تحتاجون إلى مراكز الشرطة لعمل المحاضر، كل ما يخطر ببالكم سيتم على وجه السرعة.. الرقم الموجود بالأوراق سيتم تلقائيًا بتحديد مدة السجن على حسب قوة الجريمة، وإن كانت جريمتك تستحق النفي بالفضاء، حينها ستأتي المركبة الفضائية على شكل طبق طائر، ولن تتحكم بنفسك، لأن تلك القوانين صارمة للغاية.. فلتكونوا لطفاء حين تنتهي مهمتنا في انتشالكُم من المستنقعات الغارقون بوحلها.. الذي يحدث لصديقتك تالا يحتاج إلى النفي وأعلم أن ذلك الذي يمارس العنف في تلك المحرقة وهو مخلوق من نار، ويجب نفيه إلى كوكب بلوتو المتجمد.. سيتم التخلص من مصدر الشر فلا تقلق.

- رائع.. دعنا نأخذ الإجراءات اللازمة لنتخلص من ذلك المخلوق وننقذ صديقتي تالا، قبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة، لأن صراخها يدل على أنها على حافة الموت.

لا تكترث لِما سوف يحدث، عليك بالمشاهدة فقط لا أكثر، وعليك أن تنقذ صديقتك وأنا مَن سيتكفل بكل شيء.

- حقًا.. هل سنحقق السلام على الأرض؟
- هل سنقضي على العنصرية والتطرف والعنف؟
- هل سنقضي على الهمجية والجاهلية؟
- ألن يتراكم الألم مجددًا؟!

سأتمكن من ذلك فلا تقلق ولا تهاب، فهو علي الرغم من قوته الظاهرة فبداخله ثغرة تميته حيًا، الظاهر ليس كالباطن، فإن وعد الله حق، وحان الآن موعد الرجال للتدخل، لكن سأقدم لك نصيحة، "لا تفسد روحك مجددًا لتصلح أرواحهم الفاسدة المليئة بالحب والعطاء الظاهري فقط، والتي يغمُرها الحقد الدفين والجشع لأنها على الأرجح ستظهر نواياهم مع مرور الوقت".. سأدخل الآن سأعطيك إشارة لتقوم بإنقاذ تالا.

- حسنًا اتفقنا، أيها الرفيق الخارجي.

إسمي هو: صاعق الشر.

- وقام الكائن الفضائي المُسمى بصاعق الشر.. بالدخول إلى تلك الغرفة المُسماه بالمحرقة وفي يده مطرقة أترقبه جيدًا وأنتظر إشارته لي

ولا أدري.. من أين أتت تلك المطرقة؟! لكن لا بأس الأهم من ذلك، أن أقوم بانتشال تالا من يد ذلك الرچيم، وإنقاذ العالم كله من وساوسه اللعينة.. ياللهول! لقد انهال صاعق الشر على رأسه بالمطرقة وترنح الرچيم يمينًا ويسارًا كأنه مخمورٌ، وفجأة ظهر من الأرض أضواء ألوانها مختلفة وليست متشابهة، على شكل صندوق حديدي وبداخله ذلك الذي يعتقد أنه ذو سلطة ونفوذ وفجأة اختفت كل قوى الشر الضعيفة التي كانت تحميه، وأشار إليّ الصاعق بالمطرقة لكي أقوم بتحرير تالا، اقتربت منها ودون أن ألمس شيئا بيدي، أشار ذلك الصاعق بإصبعه نحو تالا وتم فكها، وترقبنا أنا وتالا ما يفعله الكائن الفضائي وجدناه يصعق ذلك اللعين بيداه ونحن مذهولون، وكأننا نعيش في أفلام الخيال العلمي الممزوجة بالواقع، ياللهول!.. انظري يا تالا.. ماذا يفعل صاعق الشر بالشر ذاته داخل ذلك القفص؟! رأينا الكثير بسببه وهو الآن يلقى حتفه، إنه يصفعه بقوة وكأن الصاعق عزرائيل يقبض روحه المليئة بالدنس، يظن أنه المخلوق الذي اخترع الشر، ولأننا نخاف من المجهول لذلك نهاب منه، أصبحت أحب محادثة الموتى وكان يريد أن يدفعنا إلى فعلها، لنغرق مثله في وحل المستنقع، ونبقى محتجزين في بركة الدنس، تبًا له الشر لم يبق كثيرًا ينتهي بسرعة البرق الخاطف للأبصار؛ وأخيرًا سنتزوج الفرح والسرور على قلوبنا، وكل هذا بفضل الله وصاعق الشر الذي قام بمساعدتنا.. البحر كاد أن يجف، والمناخ كاد أن يتعكر برائحة الأوغاد، وكدنا نمضي على أشلاء الموتى، لولا القصاص

وجدنا به الحياة، وانتظرنا فرج الله وقد أتى، عجزنا عن إنتاج ثقافة تحيط كل مَن يلجأ لاتخاذ العنف عقيدة من عقائد نفوس مريضة، تسببت في إطاحة الجميع، ولكن وقع مخططه عليه وعلى أعوانه رأسًا على عقب، وأطاحتهم هم ونجحنا نحن في تحقيق مُرادنا.

المهمة التي جئت لأجلها قد انتهت الآن، ولكن تذكروا تلك النصيحة جيدًا، "لا تفسدوا أرواحكم مِن أجل مَن لا يستحق، لأن أرواحهم مليئة بالكره والحقد وكل شيء سلبي، يفسد عليكم حياتكم كبشر، وبالطبع ليس جميعهم فهناك مَن هم مثلكم".

- أنت مُحق نعم أنا المقتول والقاتل معًا.

مقتول: لأني تركتهم يفعلون ما يشاؤون ولم يضعوا الحدود، التي كان من المفترض وضعها.

قاتل: قتلت نفسي، لأني سمحت لهم بذلك. سوف أحترس ولن أسمح أن أكون طُعُمًا لهم مرة أخرى، وكذلك تالا أيضًا.

تصحبكم السلامة أيها البشر، وإن احتجتموني ستجدونني، ولكن عليكم أن تعلموا أن الجهل سرطان يتوغل في خلايا المخ، وينتج ورم العنف ضد الاختلاف وضد الائتلاف، ويسعى لهدم القيم، ولا يعلمون أن الاختلاف رحمة، ومازلنا لا نعلم كيفية استئصاله، ولكننا سنعمل جاهدين لتوفير دعم التغيير وتوفير الطاقة النفسية لنتحمل جميع وجهات النظر المنطقية والغير منطقية.

الفصل الحادي عشر

" مثالية القرن "

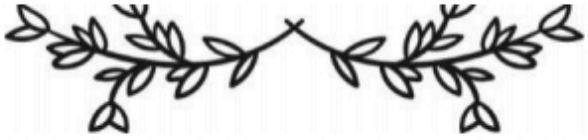

الأكفان جميعها مُلطخة بالدماء، والقبور ترفض دخول الأجساد المُغطاة بالأكفان الحمراء، حتى إشعار آخر فساتين الزفاف أيضًا وكل ما هو أبيض تَلّوَثَ؛ الدماء تغطي على كل شيء وأصبح الأحمر والأسود ممزوجين ببعضهما البعض ومن الصعب فصلهما، وأصبح أمرًا طبيعيًا حين تمت أول عملية قتل في التاريخ، علمنا أننا ندخل في عصور ظالمة لا تفلح سوى بالنوايا السيئة المسيئة كسواد القبور، عُذرًا.. فالقبور صادقة رفضت دخول الظلم بين ثناياها، فالأبيض مازال ناصعًا بالداخل؛ والخارج هو مقبرة الشياطين، التي تنبُذ الجمال والعناية بها وتحطيم مصادر بعث الأكسجين بقتل جميع الأشجار المثمرة، التي تتنفس جمال الاخضرار فالأخضر دليل على الاستعداد التام على نبع الأمل، فتمت إزالته من جذوره، تبديل مراسيم الأموات بمراسيم الأحياء التي تبعث الشر المُطلق في نظرهم، وما هو إلا مجرد نشوة زائفة بفعل تفكير غير منطقي يسعى لهدم البناء الفكري والثقافي والاجتماعي والاقتصادي المختلف؛ قوانين الفيزياء فقدت السيطرة على المنطق وفقدته تمامًا، الأرض ذرفت دموعها بسبب الوجود البشري، ذرفت دموعها على تلك الدماء المظلومة، التي تمت إراقتها عليها حتى تجمدت؛ والسماء أصبحت تُمَطِر لعنات.

بعد أن تم أخذ قطرات من محيط الشر، الذي لا ينتهي، وتم التخلص من القوى الشريرة، التي كانت تحوم حول العالم بأكمله، تالا! انظري إلى السماء وشاهدي جيدًا بتمعن المركبات الفضائية تطير فوقنا، وبعد أن تطرق اليأس إلينا من قبل إنما الآن لن يستطيع اليأس الدخول إلينا مرة أخرى، أصبحنا أقوياء للغاية، والقوة لا تعني القوة الجسدية بل القوة

الفكرية والذهنية، والارتقاء بالذات، والآن قد أصبحت الأرض تصلح للصلح مع الذات، وجميع الملذات الدنيئة القذرة تم دفنها، ملاذنا الوحيد هو التصالح والتسامح والسلام الأبدي، نعم لِما أنتِ مندهشة هكذا يا تالا!، الأطفال الصغار والشباب والكبار، والحيوانات أيضًا، وكل شيء سيحظى بالعيش دون رهبة من أحد، عامل القمامة الذي يتذوق كل ما لا يصح من إهانة ونقصان من قِبَل أحدهم، الآن هويحب عمله لأن الجميع احترمه واقتنعوا أنه عامل مهم جدا في المجتمع وله دور كبير يُحتَرَم لأجله، لأنه يستحق ذلك وقريبًا سيصبح له تمثالًا لتقديره، لكي لا يشعُر بالنبذ مرة أخرى، لأنه الطرف الذي ينقذنا جميعًا في سبيل سلامتنا كما نعرف، يخاطر بحياته لأجلنا، فيجب علينا احترامه وتقديره، هومُعَرض لجميع الأمراض الجسدية والفيروسات والفطريات التي تأكل قدميه، كل هذا من أجلنا، والحمقى يمارسون عليه العنف والتنمر والاستهزاء به أيضًا، ولا يشعرون وكل هذا انتهى، بمساعدة تلك الكائنات التي كنا نقتنع أنها ليست موجودة، وكما صورت لنا الأفلام أنها كائنات شريرة، تبًا.. هى ليست كذلك لقد خلصتنا من الشرور، وأصبحت الخيرات تتكاثر بفضلهم.. تلك الكائنات شريرة جدًا ضد الشر، ويغمُرها الطيبة ويقدمون الخير بسخاء، وكأن الله أرسلهم لنا لخلاصنا، ولن نبكي على الأطلال مرة ثانية.

- أعتقد أنهم لا يمزحون قط، ليس اعتقادًا بل تأكد، هم بالفعل لم يخذلونا وقدموا لنا المساعدات الإنسانية التي وجدت في كائنات فضائية، ومن المفترض أنها توجد في البشر الذين فقدوها لإرضاء نفوسهم الدنيئة، سُحقًا يا مروان وألف سُحقًا.. كلما تذكرت ما رأيناه

أرتجف وأرتعش بل وأنتفض خوفًا، وأصبحت أكثر طمأنينة من السابق ولكن هذا يحدث كلما تذكرت، أتمنى أن يزول ذلك الألم.

سوف يزول يا تالا، لا تقلقي من هذا، أصبحت ذكريات قديمة لا تفكري في الماضي، نحن الآن نبني المستقبل وسيسود بداخل ذلك العالم الحب مبدأ من مبادئه الأولية الأزلية.

- الحب، ها ها ها. اشرح لي!

حتمًا ليس الحب الذي أقصده المبني على علاقة شخصين ببعض، ولكن الحب الذي قصدته هو حب الاختلاف للآخر، عالم به حرية الرأي والتعبير عن كل ما يجول بخاطره ويستطيع البوح به، لأن المدينة تلك ستكون متسعًا للجميع، لن ندفن الاختلاف حيًا، فمن حق كل من يستطيع التفكير أن يعبر عن رأيه، ومرحبًا بعالم مزيج الأديان يصاحبها السلام.

- حسنًا، حسنًا.. قد فهمت الآن.

أنتِ تمزحين صحيح! لماذا تتظاهرين بالغباء؟

- ها ها ها، أمزح معك.

انظري من الواضح أنهم يريدون المكوث معنا، وهذا أمر جيد وشديد الحماسة والجدية، فكل منهم يمتلك قدرات خيالية، تجعلنا أكثر قوة وكما قلت ليست القوة الجسدية إطلاقًا، لكن القوة تُكَمِن في العقل وتطوره أكثر مما يتوقعه أحد نعم "فالعقل مجرة ليس لها علاقة بأفلاكنا" ومن الواضح سوف أتزوج من فضائية، ها ها ها.

– إن فعلت ذلك سأجعلهم ينفونك إلى إبليس، وتذكر أن كيدنا عظيم.

إنها تغار دعكِ من الأمر فلنركز على صنع المستقبل.

– حسنًا يا مروان، لكن إياك أن تفكر سأقتلك وأجعل من تلك المدينة ساحة قتال.

إذا سوف يتم نفيك، وسأحظى أنا بالفضائية إن لم تفلحي بقتلي، ها ها ها.

– تبًا لعقلك.

دعكِ من المُزاح الآن، أشعر بأن شيئًا ما سوف يحدث ولا أعلم ما هو، لأن التوازن البيئي سيتغير تمامًا، بسبب مكوث الكائنات الفضائية حولنا، وسيتم قطع جميع الأشجار والغابات وسينقص نسبة الأكسجين في الجو، لا تندهشِ هكذا، يجب تقبل العقبات التي سنمر بها ونسعى لإصلاحها، نعم كبطارية هاتف تلفت بسبب سوء الاستخدام وتم استبدالها ليعمل الهاتف كما كان من قبل، يجب تَحمُل ما سنمر به، في تلك الفترة الحاسمة، لأنها ستحدد مصيرنا المحتوم، انظري إلى السماء هناك إشعاع قوي للغاية ستنقطع الكهرباء لفترة ما، ونصف سكان كوكب الأرض سيعانون من انقطاع الكهرباء، ولكن سيتم التخلص منها عما قريب لأن الاستعمار الفضائى هذا، يعمل بشكلٍ جيد، وسيصلحون كل خراب على وجه السرعة قبل حدوثه، ولكن إن لم يتمكنوا من التخلص من ذلك الإشعاع سنتحمل عدم وجود الكهرباء، سيتم إصلاح أيضًا ثقب الأوزون ليحجب علينا الإشعاعات الضارة، لا حروب لا صراعات داخلية وخارجية مثيرة للجدل، حتمًا نحن انتهينا من الهدم الذي كان يحدث من قبل، والآن نحن

نبني الوطن من جديد، بمساعدات خارجية أنكروا وجودهم في السابق، والآن قاموا بتصديق الأمر حين رأوهم بأعينهم، ووجدوا أن السلام موجود بالفعل والخير سيظل إلى الأبد ولن ينتهي أبدًا، ولكن هناك أمر هام لا نريد أن تسقطنا مشاعرنا في بئر، ربما سيكون أمرًا غير جيد، نتجنب العواقب الوخيمة الناتجة من تلك المشاعر، ولن يجرؤ أحد على العدوان بمجرد التفكير فقط، لن يحتاجوا إلى شيء بل سينعمون بالرخاء والاستقرار النفسي والجسدي، سيذهبون للعمل بكل حب، ستصاحب وجوههم الابتسامة ولن تفارقهم، انتهى زمن الاستبداد وأتى زمن خالي من الفشل، زمن مليء بالحب والنجاحات والانتصارات الذاتية والمهنية والطبية والإعلامية، وتم اقتلاع جذور الغضب والتطرف بجدارة بالمساعدة التي قدموها لنا بدون مقابل، كنا نعتقد بأن هذه الفوضى التي كانت تحدُث هي النظام ذاته وأن الادعاء الذي اكتشفناهُ كان بندًا أساسيًا من بنود الحياة انتهى زمن المحتلين الأذكياء أقصد الذين يعتقدون بأنهم أذكياء، كانوا يحركوننا كعرائس الماريونت، بعد أن كنا نتألم لم نعد نتألم قد شُفِينا، تناثرنا في دواخلنا، وكان الله دائمًا في عوننا، تلك الكائنات الفضائية غريبة الأطوار مسالمين لدرجة أنهم يركزون فقط في العمل، العمل فحسب، ولن ننكر وجودهم مُجددًا، ولن يتأذى الصغير فينزلق بسبب ممارسة العنف عليه، فمن أذوه لقوا حتفهم، تحت طاولة الشر النابع منهم فانقلب ضدهم، غرائزهم الحيوانية كانت تقودهم، وكانت تلك الصغيرة مجرد وسيلة تضليل لا أكثر، لا بأس فلننسى ذلك ونبقى مخلصين ونفتخر بما فعلناه، ولكن سوف تشهد بعض الدول فيضانات وستغرق معظم معالمها، ولن

يتبقى الكثير من الدول، وذلك الغزو الذي تشهده البلاد سيعملون لإنشاء دول ومدن أخرى وستكون مائية بإمكانيات متميزة للغاية وسيتم تجديد الخراب الذي سوف نشهده من تلك الفيضانات، كل شيء على وشك الزوال، وكل شيء سوف ينهض من جديد وبناء سدود غير قابلة للهدم للاستفادة من مياة الفيضانات بأكثر حرفية.. ها قد أتى مصطفى.

- مرحبًا يا رفاق، معي لكُم مفاجأة، هناك فتاة جميلة قامت بالسؤال عليكم.. اسمها: "كاترين" تعرفت عليها صدفة، في مكانٍ ما، لا يهم هى تعرفكم جيدًا، وهى صديقة تالا المقربة.

أين هى يا مصطفى؟ اشتقنا أنا وتالا لتلك الفتاة كثيرًا.

- مرحبًا أيها المجانين.

الجنون جعلنا نَصِل لِما نحن عليه الآن، الجنون أساس العمق، هاهاها.. دعكم من تلك الترهات التي نقولها والآن نحن على مقربة من انتهاء المدينة المثالية، ونضع قوانين أفلاطون لها، المدينة التي حلم بها أفلاطون ولم يحققها نحن أكملنا مسيرته.. "اليوتوبيا" مجرد مصطلح يوناني قديم يُعبّر عن فكرة عدم وجود المكان؛ أيّ يستحيل تطبيق مدينة أفلاطون الفاضلة، الأفكار القديمة نستخدمها ونطورها ونحققها، فالمجتمعات ترتقي بالأفكار وحتمًا ليس المجتمع الشرقي فحسب بل والغربي أيضًا، المجتمع الإنساني الفاضل يعتمد على فكرة تحالف الأمم معًا في مجتمع واحد إنما مدينة أفلاطون الفاضلة عكس ذلك، التي اهتمّت بفكرة المدينة الضيّقة، أيّ المجتمع الواحد الذي يتمُّ بناؤه وفقًا لمبادئ الفضيلة وضمن

حدوده فقط، على عكسنا تمامًا نحن نسعى لتوحيد جميع المجتمعات على شاكلتها وتفكيرها مع وضع عقاب قاسي لكل ما يسعى للهدم، ونعمل على ذلك من أجل الأجيال القادمة ولكن سأطرح لكم.. مبادئ مدينة أفلاطون الفاضلة تعتمد مدينة أفلاطون الفاضلة على مجموعة من المبادئ، ومن أهمّها:

١ مدينة خياليّة قد تُطبَّق في الواقع، وتُساهم في توفير السّعادة لكلّ شخص يسكن فيها.

٢ عدد سُكّان المدينة الفاضلة قليل؛ إذ لا يمكن لهم التعرّف على بعضهم بسهولة.

٣كافّة المُمتلكات والأشياء الموجودة في المدينة تُعتَبر مُلكيّةً عامّةً، ولا يوجد أيّ شيء ضمن نطاق المُلكيّة الخاصّة.

٤ تتكوّن المدينة من ثلاث طبقات من السُكّان، وهم: الأوصياء، والمحاربيّن، والمزارعيّن، وكلّهم يعملون في المدينة الفاضلة، ولكلٍّ منهم عمله الخاصّ.

٥ يعتمد تحقيق الرفاهيّة لمُجتمع المدينة الفاضلة على التّعاون بين كافّة سُكّانها؛ أيّ أن تتكامل وظائفهم معًا في وحدةٍ واحدة.

- بصوتٍ واحد في نفس التوقيت قام كل منهما بطرح سؤال على مروان.. وما هى مبادئ مدينتك التي قمت بتشيدها الآن؟

أنصتوا جيدًا.. المبادئ التالية:

١ تلك الكائنات الفضائية وجودها مهم جدًا مع أننا كنا ننكر وجودها، المدينة ليست خيالية بل هى واقعية ولم تساهم في توفير السعادة بل قامت بتوفيرها بالفعل.

٢ عدد سكان المدينة كما هو ليس عددًا محددًا، لا يصح قتل من يريد العيش فهى تسع الجميع وتسع لطرح الأفكار المختلفة وحرية الرأي والتعبير مبدأ أساسي بها والمساواة أيضًا.

٣ الطبقات السُكانية للمدينة، عمال النظافة، الأطباء والمهندسون بكافة أنواعهم، والمحاربون هم الكائنات الفضائية، المزارعون حتمًا دورهم مهم في الزراعة من أجل الأكسجين، الإعلام محايد تمامًا.

٤ لا للخلافات وإن وجدت ستكون الحلول جاهزة، وسنقدم الحل على وجه السرعة.

٥ التطرف تحت أي مُسمى ليس له وجود، وإن تم ذلك سيتم نفيه في الحال، التطرف الديني والسياسي والاقتصادي أقصد بأن ظلم الرأسمالية المستبدة التي كانت بالسابق انتهى عهدها.

٦ الحرية والعدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية التي كنا لا نراها في الحقبة الزمنية الماضية، أصبحت مكفولة للجميع.

فكروا جيدًا يا رفاق، كل ما يخطر ببالكم من سلبيات لن تحدث، فالمدينة أصبحت جاهزة تمامًا، لا نريد أن نلقي أنفسنا داخل التهلكة مجددًا فالأمر أصبح حتميًا وجدي، وبعد أن كُنا في القاع أصبحنا خارجه.

– ولكن يا مروان.

أنصت إليك يا مصطفى!.

– ماذا لو استيقظت غدًا ووجدت الأرض تمطر بدل السماء؟

نحن بني آدم ونسينا سبب نشأتنا ولكن لا بأس سأستسلم للأمر الواقع وأجهز نفسي للغرق، انشقاق الأرض سيخرج الكثير والكثير من باطنها وليس الماء فحسب؛ فكلاهما سيزول.

– ماذا عن السفينة؟

قد انتهى زمن المعجزات وليس بيننا نوح، ولا أمتلك إبنًا يعصيني.

– كثر القتل في هذا الزمن!!

موسى في نظر نفسه قاتل بعد أن أصبح رسولًا من الله، فهناك أمل دائمًا.

– ولكن النيران التي سوف تخرج!!

قلت لك ذلك الزمن انتهى ولن يعود، فالنار لن تكون بردًا وسلامًا كما كانت على إبراهيم، والجرذان لن تجد مكانًا للإختباء؛ لأنها طرف من أطراف صراع على كسرة خبز داخل تلك المصيدة الكبرى.

– والآبار والعيون!!

ألقيت جميع أسراري داخل ذلك البئر وبكى عليّ أبي لأني لم أبُح له، كبكاء يعقوب عندما ألقو إخوة يوسف يوسف بداخله، فأصبح عزيز مصر.

تمت.

الفهرس

***

١. الفصل الأول "انتفاضة آدم وحواء"	١
٢. الفصل الثاني "التفشي"	١٩
٣. الفصل الثالث "ظلم الرأسمالية"	٣٣
٤. الفصل الرابع "مدينة المُذنبين"	٦١
٥. الفصل الخامس "مكب النفايات"	٧٥
٦. الفصل السادس "المواجهة"	٨٧
٧. الفصل السابع "الخير"	٩٣
٨. الفصل الثامن "الشر"	١٠٥
٩. الفصل التاسع "الانتقام"	١١٥
١٠. الفصل العاشر "المحرقة"	١٢٧
١١. الفصل الحادي عشر "مثالية القرن"	١٣٥

حسن أشرف

ما بعد اللعنة

ما بعد اللعنة

حسنًا.. ما الذي جعلك أن تنفذ ما طلبت منك؟

كنت أريد معرفة نقيض الخير، وها أنا خارج ملكوت الرب بعدم وجود الإنصاف والمصالحة في عدم إكتمال المعرفة الحقيقة.. أتدري بما أني خارج الملكوت لا أخشى شيء إطلاقًا.. فاللعين داخلي الآن وهو أنت.

- ألا تخشى الرب؟

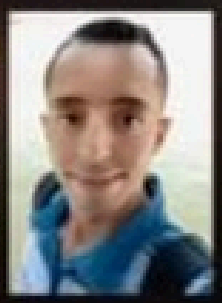

حسن أشرف

مواليد محافظة الجيزة، جمهورية مصر العربية، عام ١٩٩٤م.

صدر له مجموعة قصصية بعنوان "صمتًا رجاءً" شاركت بمعرض القاهرة الدولي للكتاب عام ٢٠٢٠، شارك بقصة قصيرة بعنوان "هلاوس مش كاتب" حازت على المركز العاشر، لمسابقة مهرجان همسة الدولي للآداب والفنون الدورة الثامنة لعام ٢٠٢٠.

إبهار